الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مسار:التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة بـ

الانتماء التاريخي للأمير عبد القادر الجزائري

من خلال مؤلفاته

:

إعداد الطالبتين:

- دفوس صباح
- العرجان ميمونة

الأستاذ المشرف:

بكاري عبد القادر

لجنة المناقشة:

الأعضاء	الرتبة	الصفة
د. بن صحراوي كمال	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. بكاري عبد القادر	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا ومقررا
د. حباش فاطمة	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الدراسة: 2020/ 2021

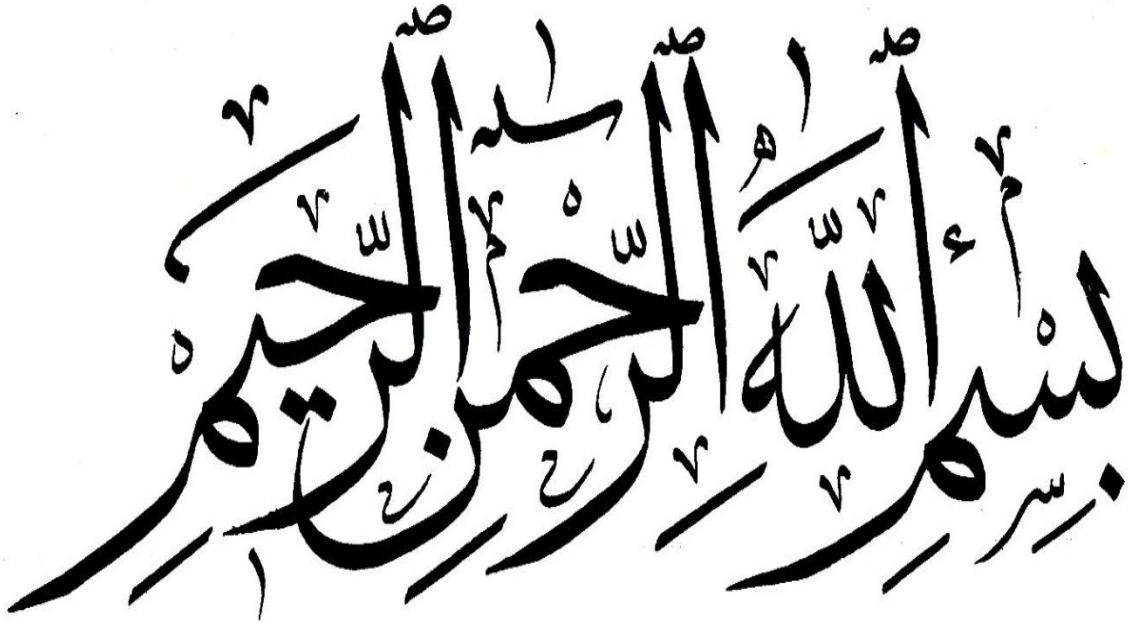
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

بسم الله الرحمان الرحيم

من باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم"من لا يشكر الناس لا يشكر الله" الشكر للمولى عز وجل الذي نعم علينا لنتمم هذا العمل العلمي المتواضع وأسمى كلمات التقدير والامتنان لأستاذنا الفاضل المشرف الدكتور "بكاري عبد القادر" الذي رافقنا طيلة البحث بنصائحه وتوجيهاته القيمة.

وندعو الله عز وجل أن يوفقه في حياته العملية كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة مناقشة رئيسا ومناقشا

كما لا ننسى أن نشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد إلى جميع الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بمعارفهم.

إهداء

إلى التي ظلت شمعة تحترق في صمت من أجل أن تضئ لي دربي.

إلى التي زرعت في نفسي التفاؤل ولم تبخل يوما بنصيحتي أو دعوة صالحة

جوهرتي الغالية "أمي" حفظها الله وأطال عمرها

إلى الذي كان درع أمان وتحمل عبء الحياة حتى لا أحس بالحرمان

﴿جدي العزيز﴾ حفظه الله وأطال في عمره

إلى سندي في الحياة ﴿خالي عبد القادر﴾

إلى خالاتي العزيزات

إلى أعز صديقاتي التي مضيت معهم أحلى الأيام حبيباتي" سعيدة، منى، خيرة، نجاة"

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل وأتمنى أن يكون خالصا لوجهه الكريم

إلى من وصفهما الله بالشمس والقمر

أمي وأبي حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى إخوتي الأعزاء

إلى صديقاتي الحبيبات: "صباح، سعيدة، خيرة، نجاة"

إلى جميع صديقاتي الوفيات

إلى رفيق دربي "هشام"

مبمونة

قائمة المختصرات:

أ–اللغة العربية:

ص: الصفحة.

ص ص : الصفحات.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

ط: طبعة.

ع.خ: عدد خاص.

مج: مجلد.

م: ميلادي.

هـ: هجري.

د ت: دون تاريخ.

الفرنسية:

A.N.E.P : Agence Nationale d’Edition et de publicité .

مـــقـــدمـــة

مقدمة:

تعد الجزائر من أكثر الدول التي عانت من بشاعة الاستعمار الاوربي، والذي كان من أقبح الوجوه الاستعمارية عبر التاريخ، بما تميز به من ألوان الفساد، وبم اتسم به من انتهاك صارخ لأبسط الحقوق الطبيعية والمدنية للشعب الجزائري، ونظرا لهيئتها الطبيعية ولمكانتها الاستراتيجية الدولية، أصبحت محل أطماعه خاصة الفرنسي، وأصبح لها تاريخ غني بالتأثيرات الثقافية والتاريخية، ولقد مثل تاريخ 05 جويلية 1830م أكبر النكسات في تاريخ الجزائر، حيث شهدت فيه البلاد نزول قوات الحملة الفرنسية بسيدي فرج بالعاصمة، وبعد ذلك توقيع معاهدة الاستسلام بين "الداي حسين"، حاكم الدولة الجزائرية، وقائد الحملة الفرنسية "دي بورمون"(De Bourmont)، وبذلك تزعزع كيان الدولة الجزائرية.

هذه الوضعية أدت إلى ظهور عدة مقاومات شعبية قادتها شخصيات وطنية تصدت للحملة الفرنسية، حاولت الدفاع عن البلاد، وقد تنوعت بين مقاومات شعبية منظمة وغير منظمة، ومن أبرز ها" مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري"، والتي تعتبر من أهم المقاومات الوطنية التي صنعت أمجاد الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وذلك لما حققته من إنجازات عظيمة خلال الانتصارات العديدة في مقاومتها ضد فرنسا، ولقد خاض الامير تجربة ذكية تمثلت في تنظيم استراتيجي يقوم على أساس بناء دولة تكون لها القدرة في لم وحدة الشعب الجزائري، ورفع راية الجهاد في سبيل الله بهدف طرد الفرنسيين من الأرض الجزائرية.

ولقد تضمن بحثنا هذا إشكالية أساسية حول الموضوع جاءت بالشكل التالي:

- ما هي طبيعة الكتابة التاريخية عند الامير عبد القادر الجزائري، وما هو إنتماءه التاريخي من خلال مؤلفاته؟

وتندرج تحت هذا الإشكال الرئيسي عدة تساؤلات فرعية منها:

- هل يمكن اعتبار كتاباته ومؤلفاته ذات طابع خاص به، أم انه ينتمي الى مدرسة تاريخية معينة ؟ وما هو اسلوبه في الكتابة؟ وما هي اهم مؤلفاته؟

- ما هي أهم القضايا التي كتب فيها؟
- وما مدى مساهمته في الكتابة التاريخية والعلمية الثقافية؟

وتكمن أهمية الموضوع في الإلمام بالجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية للأمير عبد القادر الجزائري، بالإضافة إلى اهتمامه بالتصوف العلمي على خلاف غيره.

إذ قمنا باختيار هذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية ومن الأسباب الذاتية نذكر:

- الرغبة في دراسة تاريخ شخصية كبيرة كان لها تأثير كبير على الجزائر بصفة خاصة والدول الغربية بصفة عامة والمتمثلة في الأمير عبد القادر.
- وتعود إلى إعجابنا بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري وغيرتنا على رموز وطننا والأمير أحد هذه الرموز.
- ومن الدوافع التي ألهمتنا لاختيار الموضوع رغبتنا في الإطلاع على فكر الأمير عبد القادر وأهم كتاباته.

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت في معرفة طبيعة الفكر التاريخي للأمير عبد القادر، والتعرف على الدور الكبير الذي لعبه الأمير في الحفاظ على البلاد والسيادة الوطنية.

الدراسات السابقة:

ومن الدراسات السابقة نذكر منها:

- **بقبق الزهرة:** الامير عبد القادر في الأسر 1848م- 1852م مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر.
- **زايـر عبـد القـادر:** دور خلفـاء الأمـير عبـد القـادر في بنـاء الدولـة الجزائريـة 1832م- 1847م مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.
- **وسيلة مرباح:** شعر الامير عبد القادر الجزائري، الرؤية والأداة مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم والأدب الحديث.
- **ابراهيم مياسي:** لمحات من جهاد الشعب الجزائري.

واستخدمنا في دراستنا هذه منهجين هما:

- **المنهج التاريخي الوصفي:**

كأسلوب عام من خلال عرض بعض الوقائع التاريخية وأحداثها وترتيبها، ووصف بعض المقاومات والمعارك التي قام بها الأمير عبد القادر.

ولإنجاز بحثنا اعتمدنا على خطة بحث قسمت كالتالي:

أ-مدخل:

تطرقنا فيه إلى ذكر أهم المقاومات التي تزامنت مع عصر الأمير عبد القادر نذكر منها: مقاومة الحاج أحمد باي التي كانت بتاريخ (1830م إلى غاية 1848م)، وكذلك مقاومة الشيخ بوعمامة التي امتدت من (1881م- 1904م)، وطبيعة الكتابة عندهم.

ب- الفصل الأول:

جاء بعنوان حياة الأمير عبد القادر الجزائري، حيث قسمناه إلى مبحثين:

المبحث الأول بعنوان: الأمير عبد القادر بين سنوات 1808م -1847م، تكلمنا فيه عن أهم الظروف التي ترعرع فيها والعوامل التي ساعدت في تكوين شخصيته، كما تحدثنا عن تحصيله العلمي ومشروعه الفكري بالإضافة إلى أهم مؤلفاته مرورا بالحروب التي قادها ضد الاستعمار الفرنسي ومقاومته إلى حين استسلامه.

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان الامير عبد القادر بين سنوات 1847م- 1883م تحدثنا فيه عن فترة سجنه بفرنسا، وكذلك عن استقراره بدمشق(الشام)، كما قمنا بذكر أهم رحلاته بدءا من رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وصولا إلى رحلته إلى فرنسا وختمنا فصلنا بوفاته.

ج- الفصل الثاني:

تحت عنوان: منهج الكتابة التاريخية عند الأمير عبد القادر من خلال مؤلفاته، وقسمناه هو الآخر إلى ثلاث مباحث.

أما المبحث الأول فجاء بعنوان: طبيعة الكتابة التاريخية عند الأمير عبد القادر هي كتابة ذات قيمة علمية التي كان يستعملها مؤلفي عصره من شعراء وباحثين، حيث أنها تتشابه في طريقة كتابتها وأغلبهم كانوا يكتبون على نفس القضايا التي احتواها عصرهم، أما بالنسبة للشعراء تغنو بالحب والمدح والغزل والفخر... إلخ.

وكان يكتب إلى ما عاشه في حياته من تجارب ومحطات تاريخية مستعملا بعض الأساليب نذكر منها الوصف، الأمر، الاستفهام وغيرها، أما المبحث الثاني يعنوان موضوعات الأمير عبد القادر وقضايا كتابته وفيها تحدثنا عن أهم قضية كتبها وهي التصوف وبعض الكتابات السياسية من خلال رسائله التي كان يتراسل بها مع أصدقائه وحكام آخرون سواء من خلال المناسبات أو بإطلاعهم على الأخبار الأخرى، أما المبحث الثالث بعنوان: مصادر الأمير عبد القادر في كتابة مثل شيخه أحمد الفاسي لديه كتاب قواعد التصوف والاعتماد بكثرة على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ... إلخ.

د- الفصل الثالث:

بعنوان المساهمة التاريخية والعلمية للأمير عبد القادر تندرج تحته 03 مباحث الأول والثاني تطرقنا فيهما إلى مدى اسهاماته في تطوير العلم ومن خلال مساهمته بشكل كبير في بناء نهضة عربية حديثة وطنية وقومية إسلامية، فهو من أوائل المفكرين الثريين ساهم في بناء النهضة العربية، أما المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى موقفه من قضايا عصره من خلال تدخله في إصلاح أو التعبير عن رأيه ضد بعض القضايا وبعض الحكام المتعسفين الظالمين.

هـ- الخاتمة:

هي عبارة عن جملة من الاستنتاجات للدراسات الأدبية والفكرية للأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفاته.

واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: حياة الأمير عبد القادر الفكرية والعسكرية وسعت جوانب هامة من تجربته نذكر منها:

– مع التركيز على أهم مصادره ومؤلفاته نذكر منها: المواقف الروحية والفيوضات السبوحية للأمير عبد القادر الجزائري، وتطرق فيه إلى شرح بعض المواقف بالاعتماد على الآيات القرآنية.

– وفي الشعر نذكر ديوان الأمير عبد القادر الذي جمع فيه قصائده يف مختلف المجالات كالغزل، الفخر، المدح، مساجلات وغيرها.

– حياة الأمير عبد القادر للمؤلف هنري تشرشل تقديم أبوا القاسم سعد الله، الذي تناول فيه تفاصيل حياته ومقاومته العسكرية.

– تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر لابنه محمد باشا بسيرته السيفية والقلمية.

– الأمير عبد القادر الشاعر لسليمان عشراتي الذي سلط الضوء على القيم الاجتماعية في شعر الأمير عبد القادر الجزائري والوقوف على أهم المعاني النضالية في قصائده.

لقد واجهتنا في دراستنا هذه عدة عراقيل منها كثرة المادة العلمية التي بين أيدينا، والتي جاءت متشابهة من حيث اللفظ والمضمون، بحيث لم نقف حسب اجتهادنا على جديد فيها يسمح بترجيح وتمحيص المعلومات وصعوبة تحميل بعض الكتب والمصادر عن طريق الانترنت.

مـــدخـــل

دخلت الجيوش الفرنسية مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م، بعد توقيع معاهدة الاستسلام بين الداي حسين وقائد الحملة دي بورمون، بالرغم من الجهود التي قامت بها بعض الشخصيات التي شاركت في الدفاع عن المدينة عن طريق مقاومات يمكن تقسيمها إلى ثلاث أنواع: مقاومة سياسة قامت بها طبقة التجار والعلماء وأعيان المدن، وكانت غالبا تنبع من المدن وتولاها كما رأينا حمدان بن عثمان خوجة[*]، وزملائه مقاومة شعبية دينية قام بها مرتبطون ورؤساء قبائل تحت راية الجهاد في سبيل الله تولاها العديد من الزعماء وقادة أمثال الأغا محي الدين[**]، ثم الأمير عبد القادر أما النوع الثالث من المقاومة فهو ما قام به ممثلو الإدارة العثمانية، بعد سقوط الحكومة المركزية دفاعا عن المصالح الشخصية والألقاب العثمانية تولى هذا النوع من المقاومة باي التيطري مصطفى بومزراق[***]، وابنه سي أحمد، والحاج أحمد باي[****]، قسنطينة عند دخول الفرنسيين مدينة الجزائر.

قل الحديث عن مقاومة الحاج أحمد باي لا بد من إعطاء لمحة عن الأوضاع السياسية والإدارية والعسكرية وحتى الاجتماعية والثقافية التي كان يعيشها بايلك الشرق قبل 1830م لكي نتمكن من معرفة الظروف التي ساعدت بظهور مقاومة أحمد باي.

---

[*] – **حمدان خوجة**: كاتب سياسي من رواد الحركة الوطنية الجزائرية ولد بمدينة الجزائر، نشأ وتعلم دروس القانون على أبيه، ثم قام مقامه بعد وفاته أصبح أستاذ في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية، سنة 1820م زار فرنسا وتعلم الفرنسية توفي 1876م، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط 02، 1980م، ص: 136.

[**] – **الأغا محي الدين**: (1190م– 1249هـ) (1776م– 1643م)، محي الدين بن مصطفى بن محمد الحسني الجزائري عالم بالفقه من الأعيان ولد بالقيطنة وتعلم بها وبمستغانم، حج ثلاث مرات ومر في آخر حجاته على بغداد. ينظر: معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه، ص: 154.

[***] – **الحاج علي مصطفى بومزراق**: هو باي المدية وحاكم بايلك التيطري ضمن أيالة الجزائر في العهد العثماني، امتد حكمه بين سنتي 1809م– 1830م، فزامن الهجمات الفرنسية التي ردها إلى الساحل ليستسلم في الأخير وينفى إلى الإسكندرية أين توفي، دخل بعده بايلك التيطري. ينظر: نفس المصدر، ص:109..

[****] – **ولد الحاج أحمد باي**: حسب مذكراته يف سنة 1786م، ينتسب إلى عائلة كرغلية من بايلك قسنطينة أبوه هو محمد الشريف وجده أحمد باي العلي، الذي حكم البايلك سنة 1799م، أما أمه فهي من أكبر عائلات عرب الصحراء التي شغلت وظيفة شيخ العرب وهي الحاجة غنية ابنة بن قانة تربى يتيم الأب قتل خنقا في سنت مبكرة. ينظر: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تح: محمد العربي البيري، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص: 06.

1- الأوضاع الإدارية والسياسية والعسكرية:

يعتبر بايلك الشرق من أكبر البايلكات وأخصبها وأكثرها اتساعا، ما جعل الفرنسيين يعتبرونه شبه مملكة، ينقسم هذا البايلك من الناحية الإدارية إلى أربع أقسام، فالقسم الأول شمال قسنطينة يمتد من عنابة إلى بجاية ومعروف بالسواحل، وكذلك يحتوي تشكيلات اجتماعية أساسها الأسر والعشائر والقبائل، أما القسم الثاني جنوب قسنطينة، وتعتبر منطقة بسكرة قاعدته القوية، والقسم الثالث شرق قسنطينة ينتد منه مدينة قسنطينة إلى الحدود التونسية، أما القسم الرابع غرب قسنطينة ويتسع إلى البيبان[1].

كان يديره هذه الأقسام السلطة المركزية المشخصة عند سلطة الحاج أحمد يساعده هيكلين إداريين، الأول في المدينة يضم مجموعة من الموظفين وهم رجال المخزن، أو أعضاء الحكومة المحيطون بالباي، والمشاركون في إدارة البايلك، وهم الذين يحتفظون بالسلطات العليا إلى جانبه ويتواصلون معه بصفة مباشرة ويتخذون معه قرارات، وهم يتمثلون في الخليفة الذي يأتي بعد الباي مباشرة، وهو مسؤول عن جميع الأوطان، يعطي الأوامر للقيادة من أجل جمع الضرائب وفرض الطاعة، وهناك قائد الدار يهتم بإدارة أمن الكدينة ويسير الملكيات الزراعية الكبرى للبايلك، وأغا الدايرة رئيس فرقة الفرسان، أيضا كاتب الأمين العام يراقب الرسائل المكتوبة، ويوجد أيضا الباش مكاحلي قائد خواص الباي يقودهم في المناسبات الرسمية أما الباشا سراج فهو مسؤول عن طرد الباي... إلخ.

أما الهيكل الثاني يوجد في الريف وهو يضم قادة والشيوخ من بينهم شيخ العرب، يصل عددهم إلى خمسة وثلاثون شيخا وحاكما وقائدا[2].

شهد الوضع السياسي أواخر العهد العثماني فترتين متمايزين: فترة صالح باي (1771م- 1792م)، عرفت بفترة الاستقرار لطول مدة حكمه بعشرين سنة، لكن بعد مقتله بدأت فترة الضعف والتقهقر التي تميزت بتعاقب الكثير من البايات الذين كانت مدة ولايتهم قصيرة،

[1]- يحي بوعزيز، موضوعات في تاريخ الجزائر والعرب، ج 01، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص:39.

[2]- حميد عميراوي، جوانب من السياسة وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، (بداية الاحتلال)، دار البعث، قسنطينة، ص:18.

فالبعض منهم حكم بضعة أيام فقط مثل: ابراهيم بوصبع الذي كانت ولايته ثلاثة أيام، والتي كانت بداية لمرحلة الفوضى التي تميزت بظهور اضطرابات عديدة في الحكم وانقلابات، وتنامي ثورات القبائل كثورة الحنانشة وظهور الخيانات كخيانة ابن الباي انجليز 1806م[1].

بعد مجيء الحاج أحمد باي حفيد أحمد القلي إلى الحكم بدأ في إصلاح ما أفسده أسلافه بفضل حكمته ومرونته وفاعليته وشجاعته، فقد استطاع إزالة النفور مع الأهالي أما تعامله مع العثمانيين والموالين لهم من الأسر العريقة فقد قام بالتصنيف عليهم وملاحقتهم.

كان بايلك الشرق يحظى باهتمام النظام العثماني والنظام التونسي، حيث أن حدوده كانت مفتوحة على الحدود التونسية ما جعلها من بين الأسباب التي جعلت العلاقة بينها تتميز بالحذر الشديد والحرب، فالأوضاع في الجزائر عندما كانت مضطربة ويسودها ثورات منذ 1803م-1804م، حاول البايات التونسيين استغلالها من أجل التخلص من هيمنة الجزائر والتخلص من الضرائب المفروضة عليها.

أما الوضع العسكري فقد كانت القوات العسكرية تتكون من 45 ألف رجل منهم 22 ألف من المشاة، 23 الف من الفرسان الخيالة، فكانوا ينتمون إلى ثلاث فترات: الميلشيا*، والزمول، ودائرة المخزن[2].

[1]- رياض بولحبال: أخبار بلد قسنطينة وحكامها المؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، مذكرة ماجستير، إشراف: اسماعيل سامعي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2009-2010، ص:22.

*- **الميليشيا**: هم جنود يجندون من الأتراك وبعض الكراغلة ومهمتهم الخدمة في المعسكر والسير مع محلة الدنوش وقوافل الغزو في الحروب، أما الزمول أو ما يسمى رجال الزمالة ينحدرون من قبائل المخزن ويعسكرون عادة في عين مليلة بين قسنطينة وباتنة ورئيسها قائد يسمى الزمالة، أما جنود الدايرة هم رجال حرب وفرسان يأخذون من كل القبائل، يترأس الدايرة رجل يلقب بآغا الدايرة ومركزه مدينة قسنطينة يبلغ عدد أفراد هذه الدايرة ألف فارس، ينظر: محمد صالح العينتري: تاريخ قسنطينة، تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص ص: 25-26.

[2]- حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص: 12.

2- الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

لا يمكن أن يكون التقسيم السكاني لبايلك الشرق خارج التصنيف العرقي الذي اعتمد عليه الأوروبيون في قضيتهم لسكان الجزائر في العهد العثماني، والذي يضم كلا من القبائل العرب الأتراك، يهود والذين يمكن توزيعهم على 525 عائلة تركية وكرغلية 600 عائلة أهلية و100 عائلة يهودية.

تختلف القبائل عن بقية السكان العرب في البايلك من حيث اللغة وأسلوب العيش وهم السكان الأصليون الذين حافظوا على استقلالهم ضد الفاتحين سواء كانوا عرب أو أتراك أما العرب فهم البدو الذين يسكنون الخيم، ولهم ثروة من القطعان والمواشي، ولا يقومون بفلاحة الأرض حسب ما تضطرهم الحاجة إلى الأقوات، متعلقين بعاداتهم ويرفضون أي مفهوم اجتماعي أو حضاري آخر وهم ينقسمون إلى: عرب والشاوية وهم لا يختلفون في العادات وإنما في اللغة فقط[1].

أما الأتراك يضاف لهم الكراغلة نجد أن الأولى هم الطبقة السياسية في البلاد، ولغتهم التي يتحدثون بها هي التركية يتميزون بالقوة والنفوذ واحتكار الناصب الحكومية، أما الثانية فيسمون بالأوروبيون الكرلوغيون، وهم من أي تركي وأم جزائرية فاعتبرهم الأتراك نتاج اجتماعي أدنى منهم مرتبة وكانوا يسمونهم أبناء العبيد وليس لهم الحق أن يدخلوا في الجيش أو في أي مناصب إدارية[2].

أما الصنف الآخر هم اليهود وهم فئات أجنبية مشهورة بالخبث في المعاملة والتحايل، لكن رغم ذلك سمح لهم بالعيش وممارسة النشاط التجاري، هذا بالإضافة إلى تشيد حارة تسمى بحارة اليهود من قبل صالح باي.

[1]- محمد صالح العنيتري، المصدر السابق، ص ص: 25- 26.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول إقليم قسنطينة، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، ع 70-71، 1979م، ص: 13.

كان المجتمع في الأرياف كبقية المجتمعات الريفية الأخرى في الجزائر ذات طابع قبلي وكان للقبيلة دور في هذا المجتمع الذي يسوده الصراع وكرة الهجرات نحو الشمال والجنوب، وكانت توجد بها مجموعات قبلية مستقلة بالجبال كانت ملاذا للنافين على السلطة[1].

حيث قام الحاج أحمد باي بالإغارة على الفرنسيين بعقبة العشارى[*]، ثم انسحب مع مواصلة الهجومات والمناوشات ضدهم بعد تكبيدهم خسائر معتبرة، وعندما وصل إلى قسنطينة أدخل قسم من قواته إلى المدينة وانسحب مع الباقين وراء الفرنسيين يراقب تحركاتهم، وعندما اقتربت القوات الفرنسية منها كان الجو بارد وقوة الثلوج أعاقت تحركاتهم، حيث ألحقت بهم خسائر فادحة وضعتهم من التقدم والحركة، حتى أن الباي قام بمهاجمتهم وقتل منهم عدد كبير.

حاول الفرنسيين أن يتمركزوا في ناحية باب القنطرة من الشرق ومن ناحية الكدية في الغرب، ثم أقاموا مدافعهم في كلا من سطح المنصورة وسيدي مبروك، ومن هذين الأخيرين قاموا بقصف المدينة من أجل إيجاد ثغرات لدخول الجنود إلى الداخل لكنهم فشلوا في ذلك[2].

تمركز الباي في مسلح[**]، ونصب مدافعه في الوفقات وحاصر العدو بين قواته في الخارج بين قوات المدينة في الداخل، فدامت المعارك بينهما أسبوعا كاملا متواصلة بالليل والنهار، وبعد أن تأكد الفرنسيين من فشلهم واقتربت الذخيرة من النفاذ انسحبوا بعد أن أمل اقتحام باب جديد وباب القنطرة فقام الباي بمطاردتهم إلى ما وراء قالمة ومجاز عمال.

---

[1]- محمد صالح العنيتري، المصدر السابق، ص: 27.

[*]- **عقبة العشاري**: تقع بين الحامة وقسنطينة، ينظر: مذكرات أحمد باي وحمدان وبوضربة، المرجع السابق، ص:47.

[2]- عبد العزيز فيلالي، جرائم الجيش الفرنسي في منطقتي الجزائر وقسنطينة 1830م- 1850م، دار الهدى، الجزائر، 2012م، ص ص: 77-78.

[**]- **مسلح**: عين الصلاح التي تقع بالقرب من وادي زناتي، ينظر: مذكرات أحمد باي وحمدان بوضربة، المصدر السابق، ص: 47.

حيث كانت نتائج هذه الحملة من أخطرها على الجيش الفرنسي أثناء الاحتلال فقد أثرت عليهم ماديا ومعنويا، حيث زرع أمر الانسحاب الرعب والخوف بين الجيوش الفرنسية وأصبح همها الوحيد الرجوع إلى عنابة[1].

*** بداية مقاومة أحمد باي 1830م– 1837م:**

دور أحمد باي في الدفاع عن مدينة الجزائر وعنابة:

عندما علم حسين باشا بنوايا الفرنسية العدوانية على الجزائر كتب إلى القبائل والعرب ليعلمهم بذلك وأمرهم بالاستعداد، ثم كتب إلى باي وهران من أجل تحصين مدينته، وإلى باي قسنطينة لتحصين ميناء عنابة[2].

فقد إلى مدينة الجزائر لتقديم الدنوش*، ومعهما فارس وبعض أعيان قسنطينة وقوادها وبمجرد وصوله أخبره بتفاصيل الحملة التي كانت تصله من جواسيسه في مالطة وجبل طارق وفي فرنسا، وأمره بالاستعداد لمواجهة الفرنسيين في سيدي فرج[3].

اتجه أحمد باي إلى مكان اجتماع الجيش بالقرب من سيدي فرج أين عقد جلسة ضم كلا من الأغا ابراهيم صهر الداي، مصطفى بومزراق باي التيطري وكذلك خوجة الخيل باي الغرب، من أجل وضع خطة للدفاع عن البلاد، وحضر هذه المناقشة حمدان خوجة.

وفي هذه الأثناء تعارض كلا من الحاج أحمد والأغا ابراهيم في الرأي، حيث اقترح هذا الأخير بناء حصون قوية بسيدي فرج، بالرغم من أن طلائع الجيش الفرنسي بدأت بالظهور وإقامتها تحتاج عدة أشهر، أما الباي اقترح مناوشة الفرنسيين وعرقلة نزولهم إلى البراثم وانسحاب القوات الجزائرية إلى

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 85.

[2]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تر.تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م، ص: 149.

*– **الدنوش**: رحلة تقليدية للبايات كل ثلاث سنوات للجزائرى العاصمة من أجل إعطاء تقرير عام عن حالة البايلك وتجديد الولاء لباشا الجزائر مع دفع اللازمة أو الالتزام المالي الذي يصطحبه معه كل باي للباشا والجزية، ينظر: براهيم مياسي، المرجع السابق، ص: 101.

[3]– مذكرات أحمد باي خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص: 06.

غرب سيدي فرج لتنقض عليهم من المؤخرة إذا اتجهوا إلى الجزائر العاصمة في هذه الحالة تقطع الطريق بينهم وبين سفنهم فيصبح من السهل القضاء عليهم، أما في حالة ما اتجهوا إلى سفنهم تتجنب القوات مواجهتهم وتستدرجهم إلى الوراء بعيدا عن مدينة الجزائر، ثم تواجههم في مكان مناسب يختاره بعيدا عن مكان الأسطول حتى تتمكن من الانتصار عليهم[1].

في صباح يوم 14 جوان 1830م نزلت القوات الفرنسية في شبه جزيرة سيدي فرج، حتى أن نزولها لم يواجه أي صعوبة بفضل ابراهيم أغا الذي لا يعرف كيف يرغب ويدفع السكان إلى المعركة.

شارك الباي بقواته في المعارك التي قامت بسيدي فرج وفي معركة سطاوالي، ثم تراجع بعد أن فقد حوالي 200 من رجاله وبعد الاستيلاء على قلعة مولاي الحسن انسحب إلى وادي القليعة، ثم عن الرباط شرق العاصمة، ثم واصل طريقه نحو قسنطينة بعد أن انضم إليه أكثر من 1600 شخص من الأهالي الفارين من الجيش الفرنسي[2].

أثناء غياب أحمد باي قام الأتراك بانقلاب ضده بحجة انحيازه للعرب، وعينوا ومكانه حمود بن شاكر باي عليهم أو حين علموا بقدومه ثاروا عليه القبائل المقيمة بضواحي سطيف إلا أنه تمكن من هزيمتهم. وحين وصوله تمكن من الدخول إلى عاصمته بمساندة محمد بن لحاج بن قانة. بعد ذلك أعادوه أنصاره إلى حكمه وبايعوه من جديد على الجهاد، فتخلص من الأتراك وأعدم المناصرين عليه[3].

بعد أن سيطر الباي على الوضع قام بجمع القبائل وكون مجلس شورى، ثم تسرع في مقاومة الفرنسيين بجيشه المكون من الجزائريين فقط، وحصن المدينة ودعا القبائل للجهاد[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية، الجزائر، ج 01، 1976م، ص ص: 135-136.

[2]- محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، دار الحكومة، الجزائر، 2014م، ص:105.

[3]- عبد العزيز فيلالي، مقاومة أحمد باي والقسنطيين ضد الاحتلال الفرنسي، مجلة بوليكرومي، ع 01، (د.م)، 2012م-2013م، ص: 72.

[4]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المرجع نفسه، ص:135.

... واجه أحمد باي خصوم من الداخل أهمهم مصطفى بومزراق باي التيطري، باي قسنطينة السابق ابراهيم باي وفرحات بن سعيد شيخ العرب السابق عن الصحراء الشرقية بالريان، حيث أن بومزراق بعد أن فشل في ربط صلاته مع الفرنسيين خلع على لقب الباشا وعين نفسه مكان الداي حسين، ولم يكتفي بذلك بل طالب أحمد باي بالخضوع إليه[1].

– الحملة الأولى على قسنطينة 1836م:

يعتبر بايلك قسنطينة من أوسع المناطق وأغناها وأوفرها سكان وأكثرها فلاحة لهذا السبب اعتبرها الفرنسيين منطقة استراتيجية تمكنهم من السيطرة على الشرق الجزائري.

شعر الفرنسيون بوجود قائد على الشرق الجزائري، لا يرضى بالرضوخ إلى سلطتهم ولا يقبل الحل الوسط، فحاول كلوزيل بعد تعيينه الثاني التخلص من الحاج أحمد باي من خلال إصداره قرار يقضي بتعيين يوسف المملوك بايا على الشرق الجزائري، وأعطاه الحرية المطلقة من أجل تحقيق غاياته والنجاح في مهامه[2].

بدأ الحاج أحمد باي يواجه اعتداءات يوسف المملوك الذي أشاع بأنه سيطرد الفرنسيين من عنابة وذلك فقط ليكسب سكانها إليه حتى أنه أعلن إسلامه أمام وفد من الناس زاروه في عنابة لكن الباي كشف زيف أقواله وإدعاءاته الباطلة للسكان بواسطة شيخ وادي زناتي وأكد له جواسيسه بأن نشاط يوسف يدخل في إطار الاستعدادات للحملة الفرنسية ضد قسنطينة واسقاطه وتعين يوسف المملوك محله[3].

حشد الفرنسيون قوات ضخمة بحوالي 8700 جندي وانطلقوا من عنابة يوم 08 نوفمبر 1836م، وتجمعت جميع القوات بالدرعان منها الشمالية، وفي 09 نوفمبر بلغت جبل موالغة ثم الآثار الرومانية بقالمة في 10 نوفمبر وفي 15 من نفس الشهر عسكرت بفجوج بقالمة، ثم انطلقت في

[1]– عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج 01، دار المعرفة، 2009، ص:276.

[2]– يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013م، ص ص: 69-70.

[3]– محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، المرجع السابق، ص: 110.

اليوم الموالي فوصلت إلى بلدة وادي زناتي عن طريق محاز عمار، فعسكرت في سيدي طمطم[*]، الذي انسحب منه الباي أحمد ليستدرجهم إلى قسنطينة بحسب الخطة التي وضعها، فاعتمد على المناوشة الخفيفة والكر والفر بسبب تفوقها العسكري عدة وعددا، لصعوبة الالتحام معها وكذلك لصعوبة تحرك جيوشه في الأراضي التي تجتازها هذه القوات وهكذا يستدرجهم إلى المعركة الحقيقية في المدينة المحضة[1].

شعر الباي بخطر وجود ابراهيم باي في عنابة، فأرسل له قوات عسكرية بقيادة علي بن عيسى الذي يمكن من محاصرته وإجباره على الاعتصام بالقصبة، لمدة 06 أشهر حتى أجبره على الخروج من عنابة ونتيجة ذلك استطاع الفرنسيين الاستيلاء عليها بالرغم من إمكانية ابن عيسى من القضاء عليهم لكن الباي رفض ذلك فعاد ابن عيسى إلى قسنطينة وفي أكتوبر 1831م، واستولى على قصبة عنابة لكن الفرنسيون عادوا إليها في أواخر شهر مارس 1832م، بقيادة دار ماندي ويوسف المملوك ففر الباي ابراهيم إلى الجبال وبقي فيها مدة عامين ثم ذهب إلى المدينة إلا أن توفي في سنة 1834م[2].

أما مصطفى بومزراق نفي إلى الإسكندرية مسقط رأسه بعد أن تم إلقاء القبض عليه من قبل الفرنسيين بعد غزوهم مدينة المدية 1830م، أما ابنه فتصاهر مع أحمد باي وغدر به وسرق كمية من المال من برج بوحمزة وذهب إلى الامير عبد القادر. وبعد أن اكتشف هذا الأخير أمره قبض عليه وسجنه إلى أن التحق بالفرنسيين[3].

حملة 1837م:

في الوقت الذي بادر فيه الجنرال بيجو إلى عقد معاهدة التاقنة مع الأمير عبد القادر سنة 1837م، بدأ الفرنسيين يستعدون لتجهيز حملة أخرى ضد قسنطينة، حيث أرسل دامرمون يهوديين

[*] – **طمطم**: منطقة تقع بالقرب من قالمة ووادي زناتي وتعتبر مركز مراقبة لقوات الباي أحمد، ينظر: المرجع نفسه، ص: 149.

[1] – بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي، الشرق الجزائري رجل دولة مقاوم، رسالة ماجستير، إشراف: اسماعيل سامعي، قسم التاريخ، كلية علوم إنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م–2010م، ص: 149.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص ص: 65–66.

[3] – عبد العزيز فيلالي، جرائم الجيش الفرنسي في منطقتي الجزائر وقسنطينة 1830م– 1850م، المرجع السابق، ص: 70.

كان أحدهما موشي بوشناق من أجل مفاوضة الباي، فعرض عليه الاعتراف بالسيادة الفرنسية، ودفع غرامة حربية مع التخلي عن القالة وعنابة، ووضع حامية فرنسية في قسنطينة وترك حرية السكان في الاعتراف بالسيادة بدون مقاومة، لكن الباي رفض[1].

بعد فشل كل المفاوضات بين الفرنسيين وأحمد باي أرسل هذا الأخير كاتبه الخوجة محمد العنيتري ليتأكد من قوة الحملة الفرنسية، ويتعرف على إمكانياتها المادية البشرية إلى قائدي الحملة الدوق دونيمور والماريشال دامر مون ليتفاوض معهما ويبلغ لهما شروطه وعرضها للصلح وليس الاستسلام، فكانت هذه الشروط التي رفضها الفرنسيين تتمثل في انسحاب الفرنسيين من قالمة والدرعان وعنابة فعاد محمد العنيتري وأخبر الباي بشرط الفرنسيين وأعلمه بقوة وعتاد القوة الفرنسية[2].

أثناء المعارك المستمرة من 07 إلى 11 أكتوبر استطاعت القوات الجزائرية المدافعة عن المدينة من كل أنحاء البايلك الصمود بالرغم من قوة الجيش الفرنسي، بعدذلك ركز الفرنسيون على قصف أصوار المدينة (باب القنطرة، الجباية، الوادي...)، إجبارهم على الاستسلام.

عين الجنرال فالي[*]، الجنرال دامر مون، ثم بدأ الهجوم الكبير على المدينة وانطلقت ملحمة يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837م، على ساعة السابعة صباحا، فكانت المقاومة في كل الشوارع والبيوت، فاستطاعوا أن يحدثوا تلمات على الأسوار بفعل المبالغة في القذف والهجوم، بالإضافة إلى ضعف مفعول القنابل التي وضعت أمام أسوار المدينة، وهكذا تسرب الفرنسيون إلى المدينة ورموهم بالمدافع وقتلوا العديد من السكان.

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق، صص: 278- 279.

[2]- محمد صالح العنيتري، تاريخ قسنطينة أيام أحمد باي 1832م- 1837م، المرجع السابق، ص:12.

[*]- **جنرال فالي**: ولد سيلفيان شارل فالي في 17 ديسمبر 1773م في عام 1792م، درس في مدرسة تسالون للمدفعية يعتبر من أجدر قادة المدفعية في أوروبا شارك في أكثر من أربعين عملية حصار ناجحة وهو في صفوف الجيش النابليوني، ينظر: مجازر الاحتلال الاستدمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837م، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، ع 04، سبتمبر 2017م، ص:84.

بالإضافة إلى نضالهم العسكري لجئوا إلى الكتابات التاريخية، فهناك من ترك آثار علمية سواء في النثر أو الشعر، فبالنسبة لطبيعة الكتابة عندهم نذكر على سبيل المثال أن الأمير عبد القادر احتوت كتاباته مجموعة علمية ونثرية وشعرية من خلال المصادر التي خلفها في جميع المجالات والقضايا وتضمنت تجربة حياته التي عاشها، فكتب في التصوف والفخر والغزل وهذا ما يظهر من خلال ديوانه الشعري[1].

أما في النثر نذكر كتاب المقراض الحاد الذي تطرق فيه إلى التعريف بالعقل والإدراك والحواس وغيرها[2].

كما نرى كتابه في المواقف الروحية، في التصوف الذي تناول فيه شرح بعض المواقف من خلال علمه الديني وحفظه للقرآن الكريم والسنة النبوية[3]، وذلك بالإضافة إلى الرسائل والمراسلات والمساجلات وغيرها.

أما بالنسبة لأحمد باي فقد تناول في مذكرته التحدث في بداية مقاومة وطلب الداي منه ذلك من خلال التحدث عن ذهابه إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش، وعن المفاوضات التي جرت بينه وبين السلطة وعن تجربة مقاومته ووصوله إلى قسنطينة، مع ذكر بعض المحطات التاريخية في حياته[4].

صحيح أن ظهرت لهم آثار علمية ولكن بصفة قليلة تكاد تكون منعدمة عكس الأمير عبد القادر الذي خلف آثار علمية وثقافية في أغلب القضايا المعاصرة له والدليل على ذلك هو كثرة مؤلفاته وتوسع معلوماته، نظرا لطول إقامته بالمنفى وعزلته.

وهذا ما يشير إليه في كتابه المواقف بقوله: "دخلت مرة خلوة، فعندما دخلتها أنكرنت نفسي، وضاقت علي الأرجاء، وفقدت قلبي ..."[5]

[1]– ينظر: ديوان الأمير عبد القادر.

[2]– ينظر: المقراض الحاد للأمير عبد القادر.

[3]– ينظر: المواقف، الأمير عبد القادر الجزائري.

[4]– ينظر: مذكرات أحمد باي.

[5]– عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مج 01، 1996، ص:141

وكان يرى أن الوصول إلى المعرفة لا تكون إلا بالتأمل والتفكير العقلي والتدبير القلبي من اجل تحقيق أهدافه[1]، وكتب بطريقة تتفق مع المنهجية الكتابية مع إعطاء نظرية للجهاد ومن أجل لفت انتباه الفرنسيين خصوصا المسيحيين إليه.

كما كان في اعتقاله وعذابه في المعتقلات يلجأ إلى التوسل إلى الله فيكتبها في أبيات شعرية، وعبر عن حياته وفرحه وحزنه وعن المدن التي زارها[2].

وفي الأخير ندرك أن الأمير عبد القادر ذكر كل تفاصيل حياته صغيرة وكبيرة بالتفصيل الممل والدقيق مع الرد على القضايا التي كانت تحدث في عصره عن طريق الكتابات التي رافقته فترة من حياته.

وتجربة الأمير كانت تختلف عن تجارب الشخصيات الأخرى، فهو يسعى إلى التأثير في تشكيل الجماعة المحيطة به بالدرجة الأولى، وكان يسعى إلى تنظيم المجتمع على أساس الاعتزاز بالقيم الإسلامية والعربية، وإثبات روح الصلابة والمقاومة والاعتزاز بها[3].

[1]- بقيق الزهرة، الامير عبد القادر في الأسر 1848م- 1852م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2009، ص:145.

[2]- بقيق الزهرة، مرجع سابق، ص:152.

[3]- أحمد درويش، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، ص:14.

الفصل الأول

حياة الأمير عبد القادر الجزائري

تمهيد:

الأمير عبد القادر الجزائري ابن محي الدين، من أهم الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر المعاصر، ولد بقرية القيطنة بالقرب من مدينة معسكر، ترعرع في عائلة شريفة وقد نشأ متأثرا بتقاليد أسرته ومحيطه السياسي والديني، درس الأمير العلم في القيطنة ووهران، وتعلم مختلف العلوم الدينية والفقهية وغيرها وخاض عدة معارك ضد الاستعمار الفرنسي، جعلته ذا مكانة عند مجتمعه وقام بعدة رحلات أفادته في التعرف على معارف ومعلومات من دول أخرى وبعدها، وبعد استقراره في الشام لمدة معينة وافته المنية عن عمر ناهز 76 سنة ودفن بها.

المبحث الأول: الأمير عبد القادر بين سنوات 1808م- 1847م.

1- اسمه:

هو الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين الجزائري، الذي ولد يوم الجمعة في 26 ماي 1807م الموافق لـ 23 رجب 1222 هـ، بمنطقة القيطنة، الواقعة بواد الحمام بمدينة معسكر، وأحدج أجداده من مؤسسي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى[1].

ومن صفاته أنه كان متوسط القامة، قوي البنية، مفتول الساعدين أبيض الوجه تعلوه لحية سوداء ناعمة، وفوقه جبهة عريضة وكانت عيناه كبيرتين عسليتين، يعلوهما حاجبين كثيفان، دقيقان الامتداد، ونظرته حادة ولكنها لطيفة، وكان له أنف رقيق طويل، مستقيم، وشفتان دقيقتان، كانت يداه بيضا وبين أصابعه رقيقة تعلوها أظافر مقلمة بعناية ويتمتع بصحة جيدة، ولم يكن في الجهاد ينزل من فوق فرسه إلا للصلاة أو الوضوء[2].

أما نسبه فهو شريف الانتماء، إلا أنه كان يرفض رفضا قاطعا استغلال أصله لاكتساب الاحترام والتقديس وطاعة الناس، فكان يقول: "لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته ومزاياه، وعندئذ تدركون من يكون"[3].

ويعتبر من الشخصيات التاريخية الجزائرية المعاصرة، وقائد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي بين سنتي 1832م- 1847م، وكذلك من أهم رجال الصوفية والشعر والفقه والداعي إلى السلام والأخوة بين مختلف الأجناس والأديان[4].

---

[1]- رابح لونيسي، بشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م- 1989م، ج 02، دار المعرفة، الجزائر، ص:68.

[2]- اسماعيل العربي، الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش، المؤسسة الوطنية للفتوى المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1984م، ص ص: 08- 09.

[3]- رابح لونيسي، مرجع سابق، ص:68.

[4]- محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستغلال 1830م- 19625م، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص:09.

وهناك من يقول أنه من آل هاشم، وكان لهذا النسب مفعوله، وأصبحت لعائلته منزلة اجتماعية مفعمة بالعلم والدعوة إلى الجهاد حتى الاستشهاد، ويعتبر نسبه إلهام وفخر له خاصة في شعره وبعض أموره وكتاباته[1].

ويعد والده من الشيوخ الكبار الملقنين للطريقة القادرية وطلبة القرآن الكريم[2].

وعرف في بعض المؤلفات باسمه الكامل؛ عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المخطار بن عبد القادر بن أحمد المخطار بن عبد القادر بن أحمد، المشهور بابن خدة، ابن محمد ابن عبد القوي، بن علي بن أحمد بن عبد القوي، ابن خالد ابن يوسف بن أحمد، ابن بشار ابن محمد ابن مسعود، ابن طاووس ابن يعقوب ابن عبد القوي، ابن أحمد ابن محمد ابن إدريس الأصغر، ابن إدريس الأكبر ابن عبد الله المحض، ابن الحسن السبط، رضي الله عنهم، وأصل أسرته من المغرب الأقصى، هاجرت من هناك إلى نواحي وهران[3].

وكذلك تذكر بعض المؤلفات أن نسبه يتصل بالإمام الحسين ابن علي ابن أبي طالب[4].

نشأ وتربى في محيط ديني علمي ثقافي، وكان موضع اهتمام وعناية كبيرة من طرف والده فأحاطه برأفته وحنانه، وحاول جده أن ينشئه نشأة تؤهله لتحمل مسؤولية قيادة الأسرة بعد وفاته ولا يسمح لأحد غيره أن يقوم بالعناية به.

ينتمي إلى أسرة ميسورة الحال، مصدر رزقها من أرض تمتلك مردودها من الهبات التي يقدمها الأتباع والأنصار، وتقوم بتقديم الضيافة لعابري السبيل وتقديم المساعدة للمعوزين وهو الابن الرابع للسيد محي الدين، وتلقى تعليمه في مسقط رأسه، على بعد قرابة 30 كم من معسكر، الموجودة بين حسين وسيدي بوحنيفية، وهي إرث فكري وتعتبر زاوية العائلة من طرق سيدي مصطفى أبو سيدي

[1]- فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر 1832م- 1847م، عنابة، 2012، ص:49.

[2]- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تح: محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، ط 07، الجزائر، ص:48.

[3]- نزار إباضة، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم والمجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا، ص:09.

[4]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، تونس، 1983م، ص:41.

محي الدين، وهي نوع من المنشآت الواسعة التي تحصل العلم على كل المستويات، وتوجد هذه الزاوية أين كان المؤمنون يؤدون مناسكهم وعبادتهم ومقر ضريح الجد الأول للأمير وهو الوالي سيدي قادة[1].

ففي السابعة عشر من عمره اشتهر بين زملائه بقوته ونشاطه، كان طوله حوالي 05 أقدام، وتركيب عظامه وصدره العريض، وكان يدفع الفرس إلى أكبر سرعة ممكنة ثم ينزع قدميه عن المهماز، ويطلق النار على هدفه بدقة ويركب جواد سوداء وبياض يرئسه، ويحمل بندقية.

وقضى معظم وقته في الدراسة وقراءة أعمال أفلاطون وفيثاغوس وأرسطو، ودرس كتابات مشاهير مؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديم والحديث[2].

وتزوج على الطريقة الإسلامية من ابنة عمه لالة خيرة، التي كانت تتمتع بجمال خارق وأخلاق عالية[3].

تعلم بمدرسة والده بالقيطنة، في سن الرابعة من عمره، وأصبح في عداد حفظة القرآن الكريم، وتمكن من حفظ الحديث النبلوي الشريف وأصول الشريعة، ثم درس في جامع أسرته مختلف المواد الفقهية، وإدراكا من أبيه بأن العقل السليم في الجسم السليم شجع ابنه على الفروسية وركوب الخيل ورياضة الصيد[4].

أخذ تعليمه من بعض المشايخ الذين كانوا يعيشون في عصره مثل الشيخ سيدي محمد المنور، الشيخ ابراهيم وتحصل على جملة من العلوم كالنحو والمنطق عن بعض علماء وهران، كالسيد مصطفى بن الهاشمي والفقه عن سيدي عبد الله الجيلاني، ومن الفاسيين كالعلامة أبي حفص عمر الفاسي، وأبي على الحسن بن رحال.

[1]- بوطالب عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حزب التحرير، منشورات دحلب، 18 شارع أوزي، حيدرة، الجزائر، ص:49.

[2]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ص ص: 40-47.

[3]- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص ص:41- 42.

[4]- عبد الرزاق بن السبح، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود اليابطين للإبداع الشعري، ص ص: 13- 15.

والفقيه الزروالي، والشيخ إدريس العراقي، واختار طريقة جامع مذهب مالك أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني[1].

تخرج على يديه كثير من الشباب الذين تأثروا بسيرته الجهادية وبعلمه وأدبه ومنهجه، وأصبحوا فيما بعد من العلماء، واستمروا على ذلك النهج، وطوروه واتسعوا به ومن هؤلاء على سبيل المثال نذكر:

أ- عبد الرزاق البيطار:

ولد سنة 1837م، والذي بات من علماء الشام المشهورين، حتى وفاته 1916م، رحمه الله، سلفي العقيدة، وهو المنكر على أصحاب الخرافات من المتصوفة، وهو كذلك تخرج على يديه علامة الشام وفقيهها السلفي الكبير جمال الدين القاسمي.

ب- **الطاهر الجزائري ابن الشيخ صالح السمعوني:** ولد سنة 1852م، توفي 1920م وأصبح بحلته من أكابر العلماء باللغة والأدب، وأنشأ مع الأمير دار الكتب الظهرية، والمكتبة الخالدية في القدس وله 20 مصنف[2].

2- مؤلفاته[3]:

بدأ الأمير الكتابة والتأليف منذ ريعان شبابه، ونظم الأشعار في مواضيع شتى منذ سن مبكرة، فقد شرح قبل أن يستلم الإمارة حاشية في علم الكلام كتبها جده ومن مؤلفاته وكتبه نذكر:

أ- رسالة بعنوان حسام الدين لقطع شبه المرتدين: كتبها في بداية عهده بالإمارة أي عام 1833م، وذلك بالرد القاطع من القرآن والسنة النبوية، على بعض الشيوخ الذين استمالهم واستأجرهم الاحتلال ليروجوا بين الناس، جواز النزول تحت حكم الفرنسيين، وعدم جواز الانضمام

[1]- الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص ص: 49- 53.

[2]- علي محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص:306.

[3]- ينظر: الملحق رقم (02).

إلى دولة الأمير المجاهدة جمع فيه الأدلة المانعة من موالاة الكفار أو الإدلاء إليهم بأي معونة، واستند إلى فتاوي الفقهاء[1].

ب- كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل:

هي رسالة مطولة أيضا، تتضمن مسائل جمة في مختلف العلوم، كالتاريخ والفلسفة والدين والإصلاح الاجتماعي، والأخلاقي، وهي رسالة في الحكمة والشريعة وتوافقهما، ومحاولة إيجاد صلة بينهما، واقتران احداهما بالأخرى واختلافهما نصا وروحا.

أما السبب الذي حمل الأمير على كتابه هذه الرسالة، فقد ذكره في مقدمة رسالته حين قال: "بلغني أن علماء بارز كتبوا اسمي في دفتر العلماء (انتخاب المجلس العلمي الفرنسي الامير عضوا مراسلا)، وعظموني في سلك العظماء ... ثم أشار على بعض المحبين منهم بإرسال الرسائل إليهم، فكتبت هذه العجالة للتشبه بالعلماء الإعلام، ورميت سهمي بين السهام".

وإن ميل الأمير إلى مثل هذه الموضوعات ناتجا عن قراءته لكتب فلاسفة اليونان والمسلمين، واحتكاكه ببعض العلماء الفرنسيين في أثناء اعتقاله بأمبواز، وتعرفه على المظاهر الحضارية والعلمية، وإطلاعه على تقدمهم الفكري والفلسفي قراءة ذلك اتساع فكر وتفتح ذهن[2].

ج- **كتاب المقراض الحاد:** عنوانه الكامل كتاب المقراض الحاد لقطع لسان منتقص الإسلام بالباطل والإلحاد، ألفه الأمير عبد القادر عندما كان سجينا في قلعة أمبواز بفرنسا في أواخر عام 1852م، والسبب في ذلك أنه بلغ الأمير أن بعض الحكام والضباط والأمراء الأوربيين انتفضوا من دين الإسلام.

واعتبر أن الخديعة والغدر ليسوا من سمات الإسلام، فوضع الأمير ذلك الكتاب من حفظه دون مراجع مكتوبة للرد عليهم بالدليل الكافي والوافي من القرآن والسنة الصحيحة، وبين لهم خطأ اعتقادهم، ووضح في الكتاب مسائل وأحكام مهمة وظهرت فيه روح الدعوة وحرض على هداية الناس.

[1]- المرجع نفسه، ص ص: 283- 284.

[2]- فريدة قاسي، المرجع السابق، ص:73.

وقد شمل هذا الكتاب على المواضيع الرئيسية في الفقه الإسلامي والأخلاقيات الإسلامية والتربية، من وفاء وإخاء ورحمة وبين مكانة الفرد في الإسلام وهو رسالة أرسلها الأمير من سجنه سنة 1852م، للمقاومة في فرنسا والمفكرين أراد تضمينها في الدستور.

د- كتاب المواقف الروحية والفيوضات السبوحية:

ينسب للأمير عبد القادر بعد وفاته بـ 28 عما، حيث طبع في مصر على نفقة السيدة نبيهة خانم زوجة محمود باشا، نقل عنه الموقف، فالكتابة كانت بقلم فراج بخيت وكان يحضر ندواته الفقهية وهو كتاب من ألف صفحة، وفي تفسير لبعض الآيات القرآنية[1].

وهو كتاب في فلسفة التصوف وحل بع الإشكالات الواردة في كلام الشيخ محي الدين بن عربي، وشرح فيه الأحاديث الشريفة، تفسير مزجه بالفقه والتاريخ بأسلوب صافي، واقترح عليه الشيخ عبد الرزاق البيطار بتدوينها وتسجيلها بعد ما كان يلقي مواقفه في المجالس الخاصة[2].

و- كتاب بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب:

هو عبارة عن شرح الموقف 248 من كتاب المواقف الروحية والفيوضات السبوحية.

ح- المخطوظ الكبير:

هو للحجاج مصطفى بن التهامي ابن عمته وأملى الأمير بعض فقرات الكتاب[3]، بالإضافة إلى السيرة الذاتية وكتب أخرى.

ط- الديوان:

هو أكبر آثار الشعرية، وهذا الديوان لم ينظم في فترة زمنية معينة، ولا في بقعة جغرافية مهينة، بل نظم على فترات متقطعة، فقد رافق حياة الأمير منذ شبابه في أرض الجرائم إلى وفاته في دمشق.

[1]- محمد علي الصابي، المرجع السابق، ص ص: 284- 291.

[2]- الأمير عبد القادر، بغية الطالب على الترتيب التجلي بكليات المراتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:21.

[3]- أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، منتدى صور الأزباكية، ص ص:41-42.

وكانت فرنسا السابقة في محاولتها الأولى لجمع شعر الأمير عندما ظهر فيها كتاب بعنوان: "أشعار الأمير"، يضم بعض أشعاره، والقوانين العسكرية التي كانت سارية المفعول في جيش، عندما كان قائما بأمر الجهاد.

ي- كتاب وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب:

رسالة في فنون الحرب، تتضمن ملخص الأنظمة والقوانين العسكرية، وأنواع المكافآت والعقوبات التي سنها الأمير لجيشه الفتي، وتدل الارسالة على ما كان للأمير من بعد النظر ، وثاقب الرأي في أمور الحرب ونظام الجيوش مع حداثة عهده بالحرب، ولكن لا يمكن أن نعتبر الرسالة تأليفا بالمعنى الدقيق للكلمة، فقد ثبت أن الذي صاغها هو كاتب الأمير قدور بن رويلة، أما دوره فيه فهو الأفكار والتوصيات العامة.

وقد اعترف بذلك صراحة صاحب "تحفة الزائر"، حين قال: وضع للجند النظامي قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها: وشاح الكتائب وزينة العسكر[1].

ك- كتاب عقد الاجياد في صافنات الجياد:

من تأليف العلامة الأفضل السيد محمد ابن السيد الأمير عبد القادر الجزائري، تحدث فيه عن صفات الخيل مستدلا بآيات من كتاب الله والأحاديث النبوية، بقوله أنها تثير الغبار بحوافرها ومدحها سبحانه وتعالى في قوله: "**والخيل المسومة**"، كما أنها سميت الأفراس خيلا لخيلاتها في مشيها وأيضا سميت بالجواد وقيل أنه الجود هو الفرس الذي يجود عند الركض.

كما ذكر بأن العرب لم تكن تحب شيئا وتكرمه كإكرامها للخيل لما كان لهم من العز والجمال، وذكر بعض المجاميع الجامعة الحسان، قسم إلى 06 أبواب وكل باب إلى عدة فصول ويحتوي على 410 صفحة[2].

[1]- فريدة قاسي، المرجع السابق، ص ص: 68-70.

[2]- السيد محمد ابن الأمير عبد القادر الجزائري، عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ص ص: 07-20.

ل- مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري:

هذا الكتاب هو عبارة عن سيرة ذاتية كتبها الأمير عبد القادر في أمبواز 1849م، وقد اختلفت الآراء حوله أيضا، فهناك من يقول بأن هذه السيرة هي من إملاء الأمير عبد القادر ودونها مصطفى ابن التهامي، أي أن الأمير كتب جزءا منها ومصطفى ابن التهامي كتب الجزء الآخر[1].

هذه السيرة الذاتية تمثل عملين منفصلين، الأول منهما يمثل السيرة الذاتية والعائلية لحياة الأمير عبد القادر، والثاني يمثل م علومات هامة عن تاريخ الأنبياء والرسل والعرب وعن أخلاقهم بصفة عامة وقد جمعت معلومات هامة عن حياته وتعليمه وأسرته ونسبه وبيئته وكذا معاناته في المعتقلات الفرنسة وعن الخديعة التي تعرض لها وغيرها، وكانت الحكمة من كتابه هذه السيرة الذاتية هي إثبات السالة المحمدية والدفاع عن الحضارات العربية الإسلامية[2].

3- مقاومات الأمير عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي:

أ- واقعة خنق النطاح:

وهي الأولى جرت على أسوار مدينة وهران في ماي 1832م ذي الحجة 1247هـ، أبلى فيها الأمير البلاء الحسن، حيث خؤق الرصاص جميع ثيابه وقتل فرسه فاستعاظه بأخرى، مستمرا في القتال حتى انتصر المسلمون وهزم العدو شر هزيمة وفقد الذخيرة والعتاد، وقعت هذه المعركة في قلب المدينة أين يوجد وق تجاري يحمل نفس الاسم اليوم[3].

وفي هذه المعركة الجد سرية عقد عليها للسيد عبد القادر بن الزياني، وبعثه لاستكشاف العدو بوهران، وبدأ يراقب حركاته وعند سماع الجد بالخبر، خيم بواد السيك وأرسل ينادي بالجهاد، وعندما التحق الناس به خيم بالقرب من العدو، وفي زحف الفريقين نحو بعضها، فدارت بينهما الحرب، واشتد البأس وكثر القتلى، وكان الأمير عبد القادر بين الصفوف يحرض المسلمون على الجهاد، والثبات ويأمرهم بالتقدم، ووقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيين، فولوا مدبرين وسلب المسلمون

[1]- الزهرة بقبق، المرجع السابق، ص: 158.

[2]- عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص ص: 02-13.

[3]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الشركة الوطنة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 105.

ذخائرهم، وفي هذا اليوم طعن فرس الأمير عبد القادر بـ 08 طعنات، ثم رماه أحدهم بالرصاص في رأسه، فوقع به ورغم ذلك استمر بالقتال إلى أن حالفهم الحظ بالانتصار[1].

وبعد استراحة من الواقعة الأولى وذهب الأمير إلى وادي السيك، وعند تجمع الجموع ارتحل إلى عين الكرمة وكان الجنرال بويه جاءه المدد من فرنسا، فضرب الأمير عبد القادر معسكره في خنق النطاح وقسم جنوده إلى 03 فرق، فرقتين للكفاح وأخرى للمحاماة ووقعت معركة طاحنة بين الفريقين ووقعت الهزيمة وولوا مجبرين فلقيهم الكمين واستشهد نحو المائة[2].

وجرت هذه الثانية في نفس العام والمكان واستشهد فيها الأمير محمد سعيد، الذي افتك جثته من أيدي العدو بأعجوبة، وفر الجنرال بويه بمن بقي معه إلى داخل المدينة وراء الأسوار[3].

وبعدها تأتي واقعة برج العيون تقدم فيها الأمير إلى وهران وهاجم العدو ثم حاصر الأمير المدينة شهرا كاملا وجعل كل قبيلة على حدتها، وعين عليها قائدا وأمر الجيوش بالزحف إلى العدو حتى انتهوا إلى البرج فأنزل المشاة إلى الخندق ورتب طائفة من الفرسان لحماية المشاة وباقي الجموع انتشرت على معسكر الجنرال، واتصل القتال بينهم إلى الليل فبات المسلمون في مراكزهم انسل العدو[4].

ب- معركة المقطع 28 جوان 1835م:

خرج من وهران في 14 ربيع الأول بخمسة آلاف من المشاة وفرقة من الخيالة و04 قطع من مدافع جبلية و20 مركبة، بالإضافة إلى المركبات الاحتياطية يتقدمهم جيش الدوائر والزمالة، ونزل في تليلات على مرحلة من وهران، وكان الخليفة البوحميدي في تلك النواحي مراقبا له من حياة شهور ولما

[1]- محمد باشا، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرته السيفية، ج 01، المطبع التجارية، تر: زوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م، ص:92.

[2]- المصدر نفسه، ص:ص 93- 94.

[3]- محمد باشا، المصدر السابق، ص:ص 93- 94.

[4]- يحي بوغريز، المصدر السابق، ص:105.

وصل الخبر إلى الأمير فاتجه بحوالي ألفي فارس، وألف من المشاة واحتل بسيك عازما على الإقامة هناك إلى أن يتلاحق به الناس فعاجله "تزيزيل" وارتحل زاحفا إليه.

فعبأ الأمير كتائبه ورتب مصافه وحضر خليفته أبو حميدي في جيشه فعينه في الميمنة وجعل خليفته بوشقور على الميسرة، وثبت هو في الوسط وتزاحف الجمعان، وابتدأ القتال مناوشة.

إذ استمر متواصلا يومين، وفي اليوم الثالث هجم الفرنسيين على المسلمين والتحمت الصفوف واشتد القتال فارتدت عساكر الفرنسيين منهزمة ووقع قتيلا أمام صفوفه، حيث أن جيوش الأمير أجهدهم العطش وطال عليهم القتال ورأوا العدو قد رجعوا عنه وتفرقوا، ولم يبقى مع الأمير سوى عمه العباس وبعدها رجعوا إليه أفواجا وامتلأ سهل سيك بالمسلمين والجنرال تريزيل أخذ ألف فارس، من عساكره وأردف كل فارس منهم عسكري من المشاة[1].

وكان من القتلى الكمندان أودينو، ابن المارشال دون دي تريجو، مما أثر سلبيا في معنويات الجنود الفرنسيين، ولم يجد الجنرال تريزيل مسلكا يسلكه هاربا، فإندفع نحو ساحل البحر، ولكن وعورة المنطقة حالت بينه وبين الانسحاب وغرقت أكثر العجلات بما دافعها، واقتحم أغلبية جنوده سبيل النهر تاركين وراءهم قتلى وجرحى.

وبعدها تمت هزيمة الجنرال الذي وصل ليلا بأسوأ حال متخفيا مع قليل من الجنود المجاهدين الذين استشهدوا في هذه المعركة منهم: الآغا قدور ابن بحر ومن أعيان الجيش العربي خليفة ابن محمود الذي كان وكيلا بمدينة رزيو وطلب ناصر الدين الأمير عبد القادر أن يتم دفن هؤلاء المجاهدين وفقا الشعائر الإسلامي.

واتجه بعد ذلك نواحي سيق وبعض بالأسرى والغنائم إلى معسكر ثم كتب إلى نوابه في مليانة والمدية يبشرهم بتحقيق الانتصار، ولما بلغ حاكم الجزائر المحتلة هذا الخبر عزل الجنرال تريزيل عن منصبه كحاكم لمدينة وهران وعين مكانه الجنرال دو لورانج وقرر الفرنسيون بعدها لهجوم على عاصمة الأمير "معسكر" واحتلالها.

[1]- محمد باشا، المرجع السابق، ص ص: 150- 160.

ج- معارك بين الأمير والمارشال كلوزيل:

بعد علم الأمير عبد القادر أن المارشال كلوزيل قرر الهجوم على تلمسان فاتخذ الأمير نفس الخطة التي طبقها في معسكر وذلك بإخلائها من سكانها الذين غادروها، ووصل كلوزيل يوم 13 جانفي 1836 على رأس جيش يتكون من 11000 ألف جندي فوجد الأمير في استقباله وزادت المعركة من الفجر إلى الزوال، وخرج الذين كانوا متخفيين في القلعة فضج الناج منه، وبعدها بقي الأمير يترصد خروج كلوزيل من تلمسان فخرج قاصدا وهران فوجد جيش الأمير أمامه دارت بينهم معارك دامت 10 أيام وهزم كلوزيل.

فأرسل كلوزيل قوة إلى المدية دامت 12 يوم في سنة 1836م فاحتلها وترك عليها العميل الباي بن عمر وفشلت هذه الحملة بعدما اعتقلوه سكان المدية، وبعدها خرج الجنرال بيريجو من وهران على رأس 3000 جندي نحو تلمسان، ولما علم الأمير فانتقل إلى ندرومة لمراقبة تحركات العدو واتصل بالقبائل التي كانت تقيم بوادي تافنة ورتب قواتها ووزعها على مواقع اختارها وهاجموا العدو وألحق به خسائر كبيرة، وهاجم الأمير على أطراف وهران وبعد جملة من الخسائر وصل إلى وهران، وبعد هزيمة الجنرال بيريجو قررت الحكومة الفرنسية إرسال 3000 جندي على رأسهم بوجو إلى وهران لمحاربة "وهران" الأمير 1836م، توجه إلى تلمسان لفك الحصار عن حاميتهم المحاصرة من الأمير.

وعند التقائهم دارت معركة في واد سكاك يوم 06 جويلية 1836م هزمت فيها قوات المسلمين[1].

قام الأمير بجمع فرقة وفرض حصارا طويلا على تلمسان دام أشهر وترك على رأسه ابن عمته مصطفى بن التهامي وتوجه على رأس كوكبة من فرسانه إلى المدية فأنزل العقاب على رؤوس الفتنة وأعاد النظام لها ثم عاد إلى تلمسان، كان الأمير عبد القادر في حروبه يهتم بأخلاق الفرسان واحترام

[1]- محمد علي صلابي، مرجع سابق، ص ص:185- 187.

الأسرى وكان يقوم بتقديم المكافأة لمن يأتي بأسير حي ووضعه ضمن قوانين الجيش وكانت معاملته حسنة مع كل مقاتل يأسر جنديا.

أما العدو كان يقوم بأعمال غير إنسانية بالنسبة للأسرى والمواطنين منها قطع رأس الأسير أو جذع أذنه، وكانت تعطي علاوات للجيش منها 10 فرنكات لكل جندي فرنسي عن كل أذن لأسير جزائري[1].

د- معركة سيدي يوسف (13 رمضان 1248هـ الموافق لـ 04 فبراير 1833م):

بعد انتقال الزمالة إلى نواحي تخوم المغرب الأقصى عسكر الأمير في الخط الفارق بين التل والصحراء، ثم جرد من جيشه 500 فارس ومثلها من اعسكر النظامي، وتقدم إلى التل فأحس به بعض جواسيس لامورسير فبادر بالمسير إليه في جيوشه من غير أن يشعر به الأمير حتى نزل بالقرب منه بنحو ستة فراسخ، فجعل الأمير العيون عليه.

وفي احدى الليالي نام الحرس وكان العدو سار على مهله ينسل كالسارق فما انصدع الفجر حتى وصل إلى معسكر الأمير فبينما هو نائم إن سمع صراخ جيشه الفرانسيس فقام وأمر العسكر بالمدافعة وحاول أن يركب فرسه فلم يسعه الحال ولم يمكنه من ذلك تفاقم الأمر واشتباك العسكر بالعسكر، وبعد ساعة انكشف العدو وتمكن الأمير من الركوب وصالت فرسانه صولة الأسود، وهجموا على العدو فهزموه أصبح هزيمة وغنموا منه غنائم عظيمة.

ارتحل الأمير وقصد بجيوشه أرض بني عامر فوجد عندهم فرقة من عساكر الفرانسيس حرسا لهم، فصمدوا له ثم تقدم إليهم وصادمهم بمن معه من الفرسان والمشاة، وكان في مقدمة العدو القائد بالحميدي الزائري فهاجم على الأمير فأخذ الأمير البارودة من تابعه وأقبل عليه بقوة ورماه بالرصاص فأصابه في صدره فوقع وبقيت رجله معلقة في الركاب وفرسه يجره، فأخذ الأمير بزمامه حتى لحقه

[1]- محمد علي صلابي، مرجع سابق، ص ص: 177- 178.

أتباعه فسلمه إليهم وكان هذا الرجل من صنائع الأمير ولاه قيادة قبيلة أولاد الزاير ثم خان ودان بطاعة الفرانسيس[1].

هـ- معركة مليانة:

وبعد وقائع موزاية والمدية توجه الأمير إلى مليانة لما كان يتوقعه من تصدي العدو إليها ولما اتصل به خبر مسيرهم في طريقها أمر أهلها بالجلاء عنها كما فعل في المدية، فخرج الناس بما تيسر حمله من أمتعتهم وتركوها خالية ثم أن الأمير والخليفة السيد محمد بن علال جمعوا جيوشهم مع العسكر النظامي والتقوا بالعدو في طريقه وأذاقوه مرارة الحرب ومرارة القتال، فلم يصده ذلك عن قصده، فلما قرب منها حمل عليه المسلمون حملة ما سبق له مثلها، واتصل ذلك نهارا كاملا.

أصبح سائر المسلمون يلحون عليه بالقتال ولم يصدهم عنه تابع الكلل المرسلة عليهم، كما أن العدو لم يصده إلحاحهم عليه وسد الأودية والمضايق في وجهه، حتى وصل إلى بساتينها فجمعوا عليه واختلطوا به وثار الغبار وأظلم الجو حتى لا يكاد يتميز العدو من الصديق، وأظهر المسلمون من الشجاعة والإقدام ما أذهل عقول الفرانسيس وغيبهم عن أنفسهم حتى لا كان بعضهم يضرب بعض وهم لا يشعرون، ولما كان القدر الإلهي مساعدا لهم اقتحموا هذه الشدائد وتخلصوا من المدينة فدخلوها في 11 جوان وبعد أن أقاموا بها رتبوا فيها حامية ورجعوا إلى الجزائر.

4- الاستسلام ونظرية المقاومة:

أ- الاستسلام:

بعد معركة طاحنة بين جيش الأمير عبد القادر وفرنسا وخلاص الشعب الجزاري من ربقة الاستعمار، والأمير قرر أن يسلم نفسه للفرنسيين بعد أن تداول الأمر مع خاصته من الوجود، فخابر الجنرال لامورسير في الأمر وحصل الاتفاق على التسليم بشروط منها:

- أن يحملوه مع عائلته إلى عكة أو الإسكندرية.
- أن لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط أو العساكر.

[1]- محمد باشا، مرجع سابق، ص:284.

– أن الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه وماله.

وسار مع صحبه وأهله وخاصيته وأتباعه إلى مرسى الغزوات وعند وصوله إلى مقام سدي ابراهيم الذي سبق وانتصر فيه منذ سنتين وجد الدوك دومال ابن الملك والجنرالين لاموسير وكافيناك في انتظاره فسلم نفسه إليهم بعد أن صلى ركعتين في المقام في 23 ديسمبر 1847م، وبعد 03 أيام من التسليم توجه إلى مرسى الغزوات، حيث كانت تنتظره البارجة البحرية الفرنسية وقدم سيفه لابن الملك وأقلعت بهم، تشق طريقها إلى مرسى طولون[1].

ألهم الله تعالى الأمير صواب الرأي فضرب كل هذه الدسائس بضربة واحدة، وهي تخليه عن الإمارة وإعلانه على أن الجزائر والمغرب حكاما وشعوبا عليهم أن يواجهوا العدو الفرنسي تحت قيادة سلطان المغرب أو غيره.

ولكن شعب المغرب والجزائر وحاشية سلطان المغرب كانوا في واد، وما نادى به الأمير في واد آخر، فلم يتحقق ما أراده الأمير وإن تحقق بعضه ويكفي أن تخليه عن الإمارة حقن دماء الشعبين، فأنظر يا أخي إلى رأفة الأمير ورحمة أهل الله برعايتهم، جلس الأمير حزينا في الصحراء يتأمل الأحداث راضيا بقضاء الله وقدره.

مع أن الأمير لم يهزم ولم تصدر منه إساءة لكنه قرر الاستسلام للأسباب التي ذكرناها فوقع معاهدة صلح مع العدو الفرنسي، وطلب في بنود المعاهدة أن يرحل إلى عكة أو الاسكندرية هو وأهله وبعض رفاقه في الجهاد، ولكن البارجة الفرنسية حملته إلى فرنسا[2].

[1]– قاسي فريدة، المرجع السابق، ص ص: 66– 67.

[2]– أحمد كمال الجزار، المرجع السابق، ص:35.

ب- نظرية المقاومة:

بدأت مقاومة الأمير عبد القادر من خلال مبايعته التي انعقدت يوم الأربعاء آخر شعبان سنة 1832م، وخطب له على المنابر ورضي به الصغير والكبير والجليل والحقير، فأمر بإنصافه وحسن سيرته وأدبه وتواضعه، فأذعنت له الأعراش وجاءته الوفود بالهدايا فحين استقر الطم، وانظم الشمل واجتمعت الكلمة بأم عسكر وتعينت دار إمارة في جميع الأرجاء القريبة، واستمع أهلها للأمر والنهي وشرع في السفر وابتدأ رحلته إلى مواطن مينة وشلف وغيرهم، وقبض على قاضي وهران سيدي أحمد طاهر لأنه أول من بدأ بالإفساد لنقض البيعة وأوصى بأم عسكر وسجنه في بيته[1].

وكان ذلك بعد تفاقم الوضع في البلاد فكر أهالي الإيالة الوهرانية وعلماؤها في الأمر، وتداولوا الحديث حول الشخصية التي يسندون إليها أمور البلاد، وكان الأمير قد اشتهر في معركتين خنق النطاح وأعجب به الجميع، ولذلك اقترح محي الدين ابنه الأمير عبد القادر لهذا المنصب وكانت فرحتهم عظيمة فتقبلوا إمارته وعقدوا له البيعة الأولى، وذلك تحت شجرة الدردارة الموجودة بواد فروحة من غريس[2].

وهي شجرة عظيمة كان أهالي غريس يجتمعون تحتها للشورى، بايعه الأقارب والوجهاء والأعيان والعلماء والأسر وبقية الشعب، وبعد البيعة غادر الأمير ومن معه إلى معسكر ودخل المسجد الجامع فقام في الناس خطيبا يحثهم على الطاعة والاستعداد إلى الجهاد، فجاد خطابه مبينا فيه خططه الرئيسية وبرامجه العامة التي يعتزم أن يسير عليها في سياسته الإدارية وفي الشؤون الداخلية والخارجية وهكذا احتفل به في يوم مشهود عندما عقدوا البيعة الثانية في 04 فيفري 1833م.

ووافق على البيعة بعد توسل كثير من طرف أهل الحل والعقد لمدة سنتين تطييبا لخواطرهم ودفع الفساد والعنف، وحضر للبيعة جميع أهل غريس وأعلنوا جميعا بطاعته ونصرته واتفق علماء الإقليم على بيعته وطاعته وفرحوا به وحضرها العلماء والأشراف منهم السيد الأعرج ومحمد بن حوا

[1]- الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص:ص 143- 144.

[2]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص: 44- 45.

بن يخلف، وأخواته ... إلخ، وكاتب الأمير محمد ابنه وفي رجب سنة 1248هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1832م، خرج الأمير بجيشه الفتي بعد أن نظمه ودربه فسار في الميدان، وينظم أمور الشعب ومحاربة الفرنسيين ولعب دورين في وقت واحد، كقائد عسكري وقاضي في حل المشاكل والمنازعات بين القبائل والسياسي في التأليف بين الصفوف المتفرقة وحارب الفرنسيين وانتصر عليهم في أغلب الوقائع خصوصا في وهران ومستغانم وفي هذه الأخيرة قام بأمرهم بحفر خندق في الأرض ووضع البارود تحته وأصبح مشهورا في البلاد الجزائرية وهرع الشعب من أجل الانضمام إلى جيشه[1].

[1]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص: 46- 50.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر بين سنوات 1847م- 1883م.

1- مرحلة النفي بفرنسا 1848م- 1852م:

أ- الأمير عبد القادر سجين بفرنسا:

بعد توقيع معاهدة الاستسلام وبعد إقلاع البارجة البحرية وأرست به في ميناء طولون في 24 محرم 1246 جانفي 1848م، وقاموا بإنزاله هناك في برج لاملاق[1]، فأدرك الأمير بأنه تعرض للخيانة ثم نقل إلى قصر أمبواز وقضى هناك 04 سنوات و06 أشهر، فعرضت عليه فرنسا بأن يتخذها الوطن الأم ويسكن حيث يشاء ومنحها له أراضي مع سماحها لكل من يريد الإقامة معه، ولكنه رفض.

وتعرض الأمير ببفرنسا لأنواع الإهانات والتضييقات من جراء غطرسة المسؤولين الفرنسيي وسوء معاملتهم له، ولم ينته ذلك إلا بعد أن تولى نابليون الثالث الحكم وزاره في قصر "أمبواز" وسأل عن أحواله واستدعاه لزيارته في باريس رسميا، وعندما دخلها 1852م رحبوا به وأقيمت له المآدب الفاخرة من أجل إضافة صوته إلى قائمة الناخبين لفائدة نابليون[2].

وعرضت عليه سكن في باريس أسرة بخديوي مصر ابراهيم باشا، فقال له: "إن ابراهيم باشا يرى باريس وغيرها من أنصار فرنسا متنزها له يفرح فيه كما شاء، وأما أنا فلا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي فلا فرق عندي بين طولون وباريس"[3].

كان يطالب فرنسا بإطلاق سراحه والسماح له بالهجرة إلى بلاد الإسلام، إلا أنها كانت ترفض ذلك باستمرار خوفا من نشر روح امقاومة وفكرة بناء البلاد الإسلامية لمواجهة الاستعمار الأوروبي الذي كان يستعد لاحتلالها مثل ما احتل الجزائر 1830م.

ظل الأمير عبد القادر في سجون فرنسا مدة 04 سنين حتى عام 1852م إلا أنه بقي عالي الهمة لم تؤثر فيه شدة المشاق التي أحاطت به، وكان الناس يأتون إليه من أنحاء فرنسا لزيارته، ومنهم

---

[1]- ينظر: الملحق رقم (03).

[2]- قاسي فريدة، مرجع سابق، ص ص: 68- 69.

[3]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص: 67- 69.

أصحاب المناصب والضباط، وطلب منه نابليون مقابلة وزراء ووجهاء فرنسا مما أثار إعجاب الجميع بذكائه وخبرته، ثم ذهب إلى بروسة ثم عاد إلى الأستانة ومنها توجه إلى باريس ثم عاد إلى بروسة وكان يدرس فيها بجامع العرب القريب من داره[1].

وعندما وصل إلى باريس بعد الظهر في القطار يرافقه ابنه محمد وابن أخ صديقه الأثير بن علال، وفي اليوم التالي سيكون في قصر سان كلو، حيث سيقدم للإمبراطور وثيقة عهده لإطلاق سراحه، وأمام جميع أركان الدولة، وفي هذا الصالون الذي تتصدر فيه ساعة تشير إلى التوقيت في مكة المكرمة وضع الأمير حدا بمزايدات منشورة في الصحف وقرأها له بواسونة وهي العودة لقضية مقتل الأسرى[2].

وأصبح يكتب دون انقطاع وتصريحه يبقى محترما حتى النهاية مهما كلفه الأمر يلتزم به، وهمه الوحيد هو العودة إلى إلهامه الأول، الورع والتفسير، وتثقيف أبنائه، وتعليم الدين للجميع، والبحث الروحي في أعلى مستوياته.

خلال أسبوعين في باريس لا يهدأ عبد القادر لحظة يستقبل رجال علم ودين وأمراء وقادة وتمكن مع أسيره السابق في بلدة سيدي ابراهيم المراكشية، وزار الكنائس ليظهر للجميع تسامح إسلامه، وسمع يطرح الآراء الأكثر دقة حول الدين، وقد نظم أفكاره ووجهها إلى الفرنسيين عبر رسالة إلى الجمعية الآسيوية وفيها يشرح آراءه حول فائدة العقل المقترن بالإدراك والإحساس لفهم ترتيب العالم مؤكدا على عدم وجود تناقض بين الدين والسياسة والمعرفة العقلية، وين أن حدود هذه المحاكمة تؤدي في حال النقص إلى الطريق الصوفي، ويشرح للفرنسيين الذين يمكن أن يسمعوه عبر بعض المسيحيين.

وبعدها بدأ يتجول في فرنسا في أكثر من 10 أيام محت ذكريات الوصول السيئة، سافر بالقطار من أورليان إلى باريس ودخل البارون ديار وتشليز في محادثات مع الأمير، وكانت الجماهير تهتف للأمير ذويه، وتوبعت الرحلة بالمركب حتى أفينيون وأعجب الأمير بها وبالأعمال الزراعية التي

[1]- الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص ص: 9- 10.

[2]- برونو اتيين، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، دار عطية للنشر، لبنان، بيروت، ط 03، ص:274.

كان يشاهدها على الجانبين، ومن أفينيون حتى مرسيليا بالقطار، حيث بقيت العائلة أسبوعا في فندق الأباطرة[1].

واغتنم عبد القادر فرصة إقامته في مرسيليا ليكتب إلى جميع الذين ساندوه رسائل وداع وشكر توصيات في 21 كانون 01 ديسمبر 1852م تترك السفينة لابرادور المرفأ القديم مقلة الأمير وعائلته إلى الشرق[2].

حيث ألف الكثير من الكتب في منفاه أهمها المقراض الحاد، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ضمن آراءه في التاريخ والفلسفة والدين والأخلاق والإصلاح الاجتماعي والمواقف في التصوف، واكتسب احترام العالم كله وأعطى صورة نموذجية للمسلم الذي يدافع عن وطن، وبذلك الاحترام العالمي الذي اكتسبه شارك كبار القادة في احتفالات افتتاح قناة السويس في مصر 1869م[3].

ب- الاعتقال بقصر "بو" "PAU" وتواصل معاناته:

من خلال مقرر الحكومة، المرخ في 26 مارس 1848م على الساعة 08 ليلا، تقرر إرساله إلى قصر بو مع عائلته، يقدرون بـ 88 شخصا.

قام باستقباله قائد الهندسة المكلف بالقصر، والكاتب بيري Pyree، أما الشعب فرفضوا هذا الإجراء خوفا من سوء النظافة[4].

وصل الأمير وحاشيته إل قصر "بو" على الساعة 12 ليلا بيوم الجمعة 28 أفريل 1848م، وسارع إلى والدته المسنة 75 سنة، وقادها إلى السكنات المجهزة لهم، وأعطوهم الطابقين الثاني والثالث من الجهة اليسرى في القصر.

[1]- برونو اتيين، المرجع السابق، ص ص: 275- 278.

[2]- مرجع نفسه، ص:279.

[3]- آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك، الجزائر، ص:21.

[4]- بقبق الرزهرة، المرجع السابق، ص:106.

كان الأمير يقضي النهار مع عائلته، أما في الليل ولظروف أمنية كان ينتقل إلى برج غاستون، مرورا بنفق داخلي في الجناح الأيسر، وتحت حراسة مشددة بحوالي 29 فارس، وطبق اتجاهه نظام عسكري صارم بأمر من الحكومة.

ورغم كل شيء ظل الأمير متماسكا من أجل عائلته، ليبقى الأمل في نفسيتهم، وأخبرهم بان يتحملوا ذلك ولكن لفترة قصيرة أو مؤقتة.

كانوا يعيشون حالة صعبة وتأثيرات صحية على الأطفال، سوء النظافة، قلة المواد الغذائية، هذا ما شكل أمراض خطيرة لهم، وقد عرفت هذه الفترة وفيات للأطفال، ووفاة ابنة أخ الأمير عبد القادر محمد السعيد، ريحانة فور وصولهم، وبدأت الأمراض تعصف والدته، وزوجاته وأطفاله، واستمرت معاناتهم إلى أن بدأت الزيادات تتوافد إليهم، إلا أنهم لم يستفيذوا منها بشيء[1].

وظل على هذه الحال إلى أن اقتنع دبوش بقضيته سيسانده لإطلاق صراحه، وأخبره بقرار الحكومة بنقله إلى أمبواز، خوفهم من هروبه، تميزت هذه المراحل الأخيرة من حياته بالخلوة والصلاة والتأمل، أ]ن وصل إلى مفهوم عالم الخير والنور، ونظم حياته حول الصلوات الشعائرية، والدروس لأولاده، وحاول إيجاد متنفسا للتعليم والتثقيف.

في 30 أكتوبر وصل الأمر إلى قصر بو للاستعداد من أجل الانتقال إلى امبواز، تقرر رسميا النقل النهائي للأمير.

في 02 نوفمبر 1848م، وفي المساء 03 عربات مستعدة لنقل الأمير وعائلته إلى أمبواز، وبقي البعض الآخر إلى نهار الغد.

عانى الأمير ورفقائه في معتقل بو، وهكذا ذهبوا إلى أمبواز متخوفين من المجهول[2].

[1]- بقبق الزهرة، المرجع السباق، ص ص: 107- 114.

[2]- المرجع نفسه، ص ص:115- 122.

– الاستقرار بالشام (1272هـ – 1300هـ) 1856م– 1883م:

كثرت الزلازل في مدينة بورصة وشكلت أذى للسكان والمهاجرين، مما اضطر السلطان إلى السماح للأمير بالإقامة في دمشق الشام، وصدرت الأوامر بالاستعداد لاستقبال الأمير وإعداد السكن اللائق به، وعند وصوله إلى ميناء بيروت وجد جموعا من السكان اللبنانيين في استقبالهم والترحيب بهم، ويف اليوم الثاني سار موكب العربات تجره الخيول نحو دمشق تتقدمه فرقة من الخيالة والمشاة بملابسهم الرسمية وأسمتهم، ودخل موكب الأمير دمشق وأخذ الناس يهتفون بحياة الأمير ويحياة أصحابه الأبطال واختلطت هتافاتهم الحماسية بزغاريد النساء، وكان الأطفال بملابس العيد وكان لهذا الاستقبال أثر عميق في نفس الأمير.

دخل الأمير عبد القادر دمشق 1855م[1].

في 1272هـ/ 1856م توجه إلى الشام واستأذن من السلطان رغبة في الاستقرار بها أتت إليه وفود آل أرسلان وغيرها بجبال لبنان وكلهم يرغب في إقامته عندهم وهو يعتذر لهم واستقر في منزل القباقبي[*]، وبعد مدة زار بيت المقدس وطاف بين مختلف المعالم الإسلامية والمسيحية ثم رجع إلى دمشق بعد أن عرج على قبر الإمام النووي[2].

وبعدها حدثت اضطرابات بين جبال لبنان بين النصارى، وامتدت إلى القتال وراحت ضحيتها الكثير، محاولات الأمير في حل تلك المشاكل واستطاع أن ينقذ أكثر من 15 ألف من النصارى وبعثهم إلى منازله وحول 10 آلاف جندي إلى فرنسا وفرق جميع المراكب[3].

ورغم ما أجراه الأمير من مقابلات وتدخلات لدى الداي التركي حتى لا يصل ذلك الاضطراب إلى دمشق، وكان له في حادثة دمشق المؤلمة مواقف شريفة تدعوا إلى الإعجاب وجاءته

[1]– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص:279.

[*]– **القباقبي**: محمد بن خليل ابن أبي بكر بن محمد شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الشافعي، من كتبه الزاهد المختار من ربيع الأبرار، الزين عبد الرحيم بن الحسين، عبر التاريخ، 2021..

[2]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص:71.

[3]– محمد الصغير بناني، المرجع السابق، ص:67.

رسائل الشكر وشارات الفخر والتقدير من جميع ملوك ورؤساء الدول، وكتبت عنه الصحف العالمية وأشادت بخصاله الكريمة[1].

وخلال فترة إقامته بدمشق استجاب الفرنسيون لمطالبه المالية ويبقى غير حر في حركاته فالتعليمات التي قدمها والوسكي واضحة: فعلى بولاد أن يأخذ بعين الاعتبار على نحو منتظم جميع الوقائع التي يمكن أنتحدث حول الأمير، ثم ذهب إلى القدس وأصبح عضو في المجلس البلدي لمدينة دمشق ويمارس التجارة وحتى يضارب في شراء الأراضي.

كما كتب من دمشق إلى صحيفة نسر باريس سبقت هذه الأفكار التي كتبها ببعض أيام مذابح دمشق التي برهن فيها الأمير عن رحمة إسلامية.

وبدأ الزوار يتوافدون إليه وكانت أحاديثه في لقاءاته معهم تدور حول العلم والصلة الروحية بالله تعالى، وأخذ الطريقة عن الشيخ صبري شيخ طريق دمشق واشترى بدمشق دارين واسعتين بينهما دار صغيرة في زقاق النقيب بالعمارة، هدم احداهن وغطى آثارها وأخذ في موضعها دارا جميلة، ولما تم بناءها وأصلحت الداران الأخريان انتقل من الدار التي استأجرتها له الدولة العثمانية وهنأه بسكنه الجديد الشعراء، منهم الدجاني وأمين الجندي ...

واشترى بدمشق 07 دور أخرى جعل إحداهن منزلا لأضيافه وجعل بعضها حديقة مقابلة للدور، وكان نهر يمر بين الدور والحديقة، واشترى مزرعة بالغوطة وأرضا عمرها وبنى قصرا ودعى إليه العلماء[2].

وقد اهتم خلال إقامته بدمشق بالبحث والتدريس كما اهتم بشرح النصوص الئريسية مثل صحيح البخاري بالمدرسة الشرفية، كما علق على مؤلفات العلوم القرآنية لمؤلفين مصريين تقليديين، جلال الدين السيوطي، أحمد بن مبارك، وقرأ وشرح الكتاب الذي يعرض الرؤى الروحية لعبد العزيز الدباغ وغيرها من الدراسات[3].

[1]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص: 71- 72.

[2]- الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص:12.

[3]- بقبق الزهرة، مرجع سابق، ص:184.

قضى الأمير 27 سنة في دمشق منذ 1856م إلى 1883م، حتى وفاته، في القراءة والمطالعة والتأليف وأصبح مركز اهتمام العلماء المثقفين، وكون حلقة درس ديني من علماء وطلاب وكانت تجتمع يوميا في الجامع الأموي الكبير وكان الأمير يرأسها ويذكر أن الدرس كان يستغرق 03 ساعات متواصلة ، وأماكن تدريسه تختلف بحسب الظروف ومن أهم أعماله في دمشق "الإتقان في علوم القرآن، كتابب الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز لابن مبارك"[1].

3- رحلاته:

1/ رحلة الأمير عبد القادر إلى الحجاز:

فبعد أن حصل السياسة الأدبية بالوطن، وحاز الرياسة العملية في كل سكن وقطر قصد به والده المذكور آنفا المآثر الحجازية وارتحل به مجاوزين القرى والضواحي الحقيقية والمجازية ليتمرر من كل بلد اجتاز به باخلاق أهله وتقي الإعصار.

فكان سفره من وهران مع كبار دولتها يوم السبت 02 شعبان آخر 1230هـ، في ركب من وقر اللباس ومحفة السباح قاصدين ابتغاء مرضاة الله سلوك الفجاج والانخراط في زمرة الحجاج على حسب رحلات وطننا المعروفة المبنية آثارها المرسومة من واد سيق إلى وادي سيد المقداد إلى جدوية إلى مجاجة إلى العطاف إلى الجندل إلى المدية، ثم منها إلى أربعاء بني سليمان إلى برج حمزة، إلى قرية بني منصور في مبتدأ البيان إلى سيدي مبارك إلى الصديق إلى وكلت البار إلى قسنطينة، ثم منها إلى الصومعة إلى الوادي الشارف إلى مرجة كحيل إلى ورغة بوادي شراط إلى مدينة الكهف، إلى تستور إلى سيدي الحطاب.

وافق دخولنا المدينة الخضراء تونس المونسة أول يوم من رمضان 27 سوما من يوم مسيرنا فأعجبنا تأنقها وشغلنا ترنقها، وبعد إطلاعنا على مساجدها البهية وأسواقها الشهية قلنا أنها والله لهين فلقى أهلها الوارد بالتعظيم والتبجيل خصوصا علماء التدريس.

[1]- حرشوش كريمة، الأمير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية 1856م- 1860م، مجلة عصور، مج 19، ع 01، جوان 2020، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص ص: 40-41.

فأقمنا فيها أحد عشر يوما مكرمين عند علمائها وأرباب دولتها خصوصا الفقيه العلامة السيد أحمد المازري سلاسة الشيخ الطاهر حائز رياسة العلم والعمل بإفريقية.

ولقينا وكيل وفاق المغاربة الحاج الحرشي بإكرام وأيُ إكرام إعظام وأخذ ما عندنا من الدواب خيلا وبغالا بأثمانها متضاعفة وكان بيده وقتئذ مركبا[1]، في سيسي فأعطى القامرة للوالد وخواصه زيارة، وإكرام باقيا للرفقة بمعاملة اللطافة والإحسان القولي والفعلي فركبنا إذ ذاك باسم الله مجراها ومرساها.

ولا أحضر الآن اسم رئيس الركب غير أني أثبت أن عنده صغيرين أدبيين حاذقين اسم أحدهما كك واسم الآخر أندري وسافرنا 6 أيام وعارضنا الريح النكباء فعولت إثر المعالجة وما قدرنا التولي للمرسى[2]:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

لمَّا ردّ الرئيس صاحب المركب الذي ركب فيه أهل مخزن وهران سافر ومركبه باق، اغتاظ لذلك وقال هذا مركب انجليز ونحن أدق منهم صنعة وأقوى منهم على المسائل العملية وما هي سفينيتن ونشر حينئذ قلعة وافقت الرياح فاتفق لنا على ظهر البحر بين أيام الرجوع الصعبة والتسيير 19 يوما بفارق فوافق نزولنا لمرسي مقصد المغاربة والمشارقة مدينة الإسكندرية آخر يوم من رمضان واجتمع لنا بذلك عيدان عيد الفطر، والسرور بالخلاص من البحر بعدما ألقينا من طغيان أمواجه وتراكم فراتين عجاجه من أذهل العقول وأنسانا كثيرا من النقول.

أقام الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر بالاسكندرية عدة أيام زاروا قبور واضرحة الصالحين أمثال النبي دانيال، وأبي العباس المرسي وتلميذه تاج الدين ابن عطاء الله، وأبي الحسين البصيري، صاحب الأمداح النبوية.

[1]- سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، المرجع السابق، ص:ص 97-98.

[2]- الحاج مصطفى بن تهامي، تح: يحي بوعزيز، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص: 96-97.

ثم سافر وعبر وادي النيل بالمتاع، وسافر الشيخ محي إلى كفر الزيارات لزيارة قبر الشيخ البدوي في طنطا.

وفي يوم 06 شوال 1240هـ/24 ماي 1825وصلوا إلى مدينة القاهرة، ووجدوا في استقبالهم خارجها السيد محمد سعيد القاندي الذي كان ينتظرهم، واقتداهم إلى منزله وأقاموا به إثني عشر يوما في ضيافته، وزورهم مسجد سيدنا الحسين، وضريح ومسجد الإمام الشافعي، والقرافة الكبرى والصغرى والجامع الأزهر، وعرفهم بعدد من العلماء أمثال: الشيخ علي الميلي، الشيخ فراج، والشيخ محمد الأمير.

وبعد ذلك سافروا إلى ميناء مدينة السوسي، ومن هناك استقلوا مركب الرايس السعيد يمان ونائبه بحيث يوم جمعة ووصلوا إلى ميناء ينبع في اليوم 09 من سفرهم وبعد يومين رسوا بميناء جدة، وضيفهم قائد المركب وأكرمهم، ثم أحرموا وأخذوا طريقهم إلى مكة ووصلوا إليها بعد يومين وليلتين، قبل طلوع الفجر بساعة، وطافوا طواف القدوم وأدوا بقية مناسك الحج والعمرة في ظرف 46 يوما كاملة.

ثم سافروا إلى المدينة المنورة للتبرك بزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبة الركب الشامي حتى يؤمنوا عائلة لصوص الطريق[1].

ومروا على وادي فاطمة، وعسفان، وكريد الحوراء، والينبوع والصفراء، وبدر وحنية والحمراء والقباب، وعاشرواء، وأخيرا المدينة المنورة التي بقوا بها أسبوعين، وصلوا جمعتين اثنين، وزاروا مقبرة البقيع وباقي المزرات الأخرى.

وبعد أن انتهوا من الزيارات واستوفوا مقاصدهم شدوا الرحال ثانية إلى الحجاز عبر مدينة دمشق التي أقاموا بها شهرين كاملين كذلك للزيارة والتبرك بالعلماء والفقهاءوأولياء الله الصالحين، وللدراسة والتعلم كذلك بالنسبة للشاب عبد القادر.

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 40-41.

ثم غادروها إلى مكة المكرمة حيث أدوا مناسك الحج للمرة الثانية، واستمتعوا بالمشاهد المقدسة في المسجد الحرام، ومسجد الرسول بالمدينة المنورة.

ثم قفلوا راجعين إلى مصر عبر الدرب الحجازي ومناهله، كالجوراء والينبوع والوجه، وآبار السلطان، ووادي القصب ومغاثب شعيب، وبدر العقبة والتخيل، وأخيرا القاهرة أيام المولد النبوي، وجددوا الزيارة لأضرحتها ومساجدها، وشاهدوا فيضان النيل الذي صادفهم هناك[1].

ثم عاد إلى مسقط رأسه (القيطنه).

2- السفر إلى بغداد:

ثم خرجنا مودعين صاحب الروضة المفضلة على بقاع الأرض والسماء زائرين مدينة السلام المسماة بغداد عن طريق الشام لصعوبة طريق الدروق بكثرة اللصوص المنتبهين، وعدم اجتياز السيارة مع قبائلها من البر، ولكونهم لا ينالهم حكم سلطان.

ثم بعد مدة سافرنا مع رفقة مأمونة بالتنبيه من ولاة الأمر والإيصاء بنا في كل ما ينفع ويرضى ويضر مدة من شهرين بين الإقامة والمشي إلى أن حللنا مصر، بعد عناء ووردنا فرات ودجلة الوارد ودخلناها في أحسن زي.

وقد كان الجد رحمة الله ترك لنا بها نسبا معروفا عن جعل به أولاد الشيخ ذكرنا معروفا، ووجدناهم أعرف بخصال الجد منا، وأحرص على تعظيمه، وعد ثنائه فضلا ومنا، واتخذنا صلاة الأوقات في مقام ضريح سلفنا وقدوة أسلافنا ديننا، والتبرك بآثار أمكنته وأنواء سحاب غيث ما قصد ودنا وجدنا على ولده القائم مقامه بالزاوية في ذلك الوقت الطارد سني هدية وسمت سماحته وبسطه كل شقاق ومقت[2].

[1]- سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، المرجع السابق، ص ص: 41-42.

[2]- مصطفى بن تهامي، مصدر سابق، ص ص: 101-118

وزاروا ما أمكن زيارته وجلس الشاب عبد القادر إلى حلقات دروس علماء بغداد، ليستزيد من العلوم والمعارف بينما لازم الشيخ محي الدين ضريح شيخه عبد القادر الجيلالي للتعبد والتذكير، والاستزادة من طاعة الله ورسوله[1].

4- رحلة الأمير عبد القادر إلى أمبواز:

مع نهاية فصل الصيف، انتشرت إشاعة في أرجاء مدينة بو، مفادها بأن الأمير عبد القادر سيترك القصر قريبا، فقد رأت السلطات الفرنسية بأن قرب المدينة من الحدود الاسبانية قد يسهل الهروب على الأمير وأصحابه، أو حدوث هجوم على القصر بدافع تحريره واستخدامه ضد المصالح الفرنسية ونظرا لانتقاد مدينة ثور لمكان مناسب وقع الاختيار على مدينة أمبواز، كان قصر أمواز متوفرا على كل الضمانات الأمنية ومن ضمن الأملاك التي صودرت بعد انتفاضة فبراير والتي بقيت شاغرة حتى ذلك اليوم: "أصبح المكان المهجور مسرحا لأشغال ترميم كبيرة".

اجتمعت لجنة سكان مديينة ب للمطالبة بإلغاء قرار نقل عبد القادر، وأعلنت الجريدة المحلية، "**ميمو ريال البيرني**" في عددها الصادر يوم 30 أكتوبر: "سيترك عبد القادر مدينتنا قريبا، فقد وصل قرار إلى القصر يقضي بالتأهب للرحيل"، وفي نفس المقال عبر عن خيبة أمل تجار المدينة: "إن رحيل عبد القادر سيحرم المدينة من أرباح معتبرة خاصة مع حلول هذا الفصل ..." [2].

أجل الرحيل عدة مرات بسبب حلول شهر رمضان، ثم وفاة خديجة، إحدى بنات الأمير عبد القادر واستغراق المهندس المكلف بترميم قصر أمبواز في ذلك طويلا.

لم يوافق الأمير عبد القادر على زيارة قصر هنري الرابع إلا ليلة سفره إلى أمبواز: "توقف الأمير باحترام أمام ظهر السلحفاة التي استعمل كمهد لابن جان دالبرت قائلا: "هذا المهد كان لي أثناء تواجدي خلف هذه الأسوار بمثابة التعويذة، أتمنى أن تحفظ الحيطان ذكراي، عسى أن تنبغي البركة التي حلت هي بينها إلى مسكني الجديد".

[1]- الأمير عبد القادر، رائد الكفاح الجزائري بسيرته الذاتية وجهاده، المرجع السابق، ص:41.

[2]- مصطفى خياطي، الأمير عبد القادر سجين فرنسا، منشورات ANEP، 2013، ص:164.

عند رحيله إلى أمبواز أحاط به أصدقاءه من سكان مدينة بو والدموع بأعينهم، فالتفت إليهم قائلت: "أرحل من بو تاركا خلفي قطعة من قلبي"، بعد أن أهدى السترة التي كان يلبسها أثناء أسره في بو إلى المواطن روليي.

"أخيرا في يوم 3 نوفمبر 1848 ترك الأمير بو متجها إلى بوردو، تاركا وراءه حشدا حزينا من السكان اغنتم عد القادر اللحظات الأخيرة قبل رحيله للقيام بأعمال خيرية، من صدقات إلى الفقراء وهبات لجنود الجيش الإفريقي المتقاعدين والعمال الذين خففوا عن المعتقلين أحزانهم خلال توادهم بالقصر".

انتظر رئيس بلدية بو السيد سارغوزا، الأمير عبد القادر عند مخرج المدينة على الطريق المتجهة نحو مدينة بوردو، لتوديعه الوداع الأخير، لما رآه هذا الأخير، أكر بإيقاف العربة ثم نزل عنها وحضنه رجل المدينة الأول، الذي أواه طول لأشهر الست الماضية وشكره على حسن ضيافته تحت تصفيات الحاضرين"[1].

4/ وفاة الأمير عبد القادر:

توفي بدمشق في منتصف ليلة 19 رجب 1300هـ/ 24 ماي 1883م، عن عمر يناهز 76 سنة، ودفن بجوار الشيخ محي الدين بن عربي بالصالحية، وترك بعده زوجته و10 أبناء ذكور، وهم محمد باشا، محي الدين باشا، إبراهيم، الهاشمي، أحمد، عبد الله باشا، علي باشا، عمر، عبد الرزاق، عبد الملك، وست بنات، وثلاث جواري جركسيات، وجارية حبشية.[2]

قضى عمره في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وفي العبادة وطلب العلم، وبقي جهاده شعلة تنير الطريق في الجزائر[3] وشارك ابنه محي الدين في ثورة المقراني 1871، وناظل حفيده خالد بن الهاشمي ضد الاستعمار، بعد الحرب العالمية كان يتمتع بالصحة الجيدة في صغره، وكان مصابا بألاما

[1]- مصطفى خياطي، مرجع سابق، ص:165.

[2]- الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:23.

[3]- لونيس، رابح، المرجع السابق، ص:74.

وأوجاع خفيفة، بالمثانة وحصر البول، وتردد عليه الأطباء كثيرا، وكان يخف عليه المرض أحيانا ويشتد مرة أخرى[1].

وبعد الاستقلال أتخذت صورة الأمير عبد القادر رمزا للدولة الجزائرية، وكانت توضع على الأوراق النقدية، وأعيد رفاقه، ووضع له تمثال بالعاصمة[2].

[1]- يحي، بوعزيز، المرجع السابق، ص:74.

[2]- نزار إباطة، المرجع السابق، ص:34.

خلاصة الفصل:

نستنتج أن الأمير عبد القادر الجزائري هو أحد الرموز الوطنية الجزائرية في التاريخ الجزائري، هذا بالإضافة إلى نسبه الشريف وحسن معاملته لأعدائه التي يشهدها الجميع، ونظرا لتطور ثقافته العلمية، خلف فيها عدة آثار في الشعر والنثر "الديوان" و"المقراض الحاد"، وغيرها.

الفصل الثاني

آليات وأساليب الكتابة التاريخية

عند الأمير عبد القادر

تمهيد:

لقد نشأ الأمير عبد القادر نشأة علمية و أخذ العلم من أهله وتفوق في مجالات عدة، أهمها حفظه للقرآن الكريم، وأراد بإنتقاله من جهاد السيف إلى جهاد القلم من أجل توعية الأمة الإسلامية، والنهوض بها عن الجهل والغفلة ،لأن ذلك هو السبيل إلى تدارك النقص السائد، وفعلا استطاع تحقيق مبتغاه.

المبحث الأول: طبيعة الكتابة التاريخية عند الأمير عبد القادر.

I- منهج الأمير عبد القادر في الكتابة:

1- إعمال العقل والنفكير ونبذ التفكير الأعمى:

وكانت له مقولة يكثر من ترديدها فيه معظم مؤلفاته، وهي قوله: "إن بهيمة تقاد أفضل من مقلد ينقاد"[1].

2- المنهج الصوفي:

يتميز منهجه الصوفي كونه ينطلق في البداية مما يمكن أن نسميه بالتفكير الظاهري للنص القرآني، إذ يعرف أقوال المفسرين السابقين واللاحقين، وأقوال المتصوفة في منهجهم التأويلي "خاصة ابن العربي"، وفي النهاية يبين موقفه ورؤيته، وهذا ما يظهر في كتابه المواقف من تفسير الآيات القرآنية وهو في كلامه في هذا المجال يخاطب الغير مقلدين، في قوله: إذا كنت مقلدا فإن كلامي ليس معك ويوضح منهجه نظري في كتاب المواقف، ففهم الآيات القرآنية و تأويلها يختلف باختلاف الأشخاص و الأزمان، وهذا يدل على التطور وتجديد الفكر الصوفي، والحقيقة عندهم ليست كاملة ولا حقيقية[2].

كذلك إن أغلب قصائده دارت حول مضامين تعلقت إما بشؤون الذات والقلب والروح وإما استأثرت بها وقائع العمر في أمورها المختلفة والتقلبات التي اتسمت بها حياة الأمير ورواية ليومياته وتفاصيل تجاربه[3].

واستخدم أسلوب التعبير والإفصاح عن أعماقه رؤيته سار فيه، ويتخلله الحرفية والقناعة بالتأويل القريب، ونلاحظ أن كل الأشعار التي تضمنها الديوان في الغزل، قالها الأمير في الزوجة إبنة العم والعتاقة هي الصفة الغالبة على أشعار الأمير، وقصائده من حيث طبيعة سجلها القولي وطابعها

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تح: ممدوح حقي، القاهرة، مكتبة الخانجي.

[2]- عبد الوهاب بالغراس، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1999، ص: 09.

[3]- عشراتي سليمان ،الأمير عبد القادر الشاعر، دار الغرب للنشر والتوزيع ،ط03، 2009، ص: 54.

الفني مترابطة فيما بينها[1]، واتسم أسلوبه في الشعر العذري و ذلك من خلال تعظيم المرأة واعتبارها النفس التي تتغنى بها الألحان، و إعتبر الحبيبة مصدر الاستبشار والسعادة، فكأنها كوكب وهو مجرد نجم يدور في مدارها مستسلما تحت قانون مدارها.

والانقياد والتبقية هي خصائص الذات، عنده من خلال قوله:

غرقت في حبهم دهرا ألم تريني

في بحرهم سفن حقا و ملاح.

و رغم جهاده ورهبة الناس لعظمته إلا أنه يظهر في هذه القصيدة أنه في غاية الاستسلام والتعب لدرجة أنه يريد كتم الهوى.

حيث قال أريد كتم الهوى حينا يمنعني

تهتكي كيف و الحب فضاح.

ويتسم أسلوبه باستخدام الوازع الديني والمشيئة الإلهية، وإظهار الصيغة النبوية، التي ينتمي إليها واعتمد على أسلوب المحاجة والإقناع، والجميل في شعر الغزل أنه لم تستهوه تلك الصور والتعابير المألوفة بالاستهتار بالمحرم، من قبل الحديث عن السكر والخمر .. و الميل نحو التماسك والثبات، من خلال ملئ القلب بالخشوع وقراءة الصحيحين والتشفع بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم[2].

فقد قهر أساليب الدوران حول المعنى و فتح المجال أمام الكلمة المؤدية إلى الغرض المطلوب بوضوح و دقة ، ويصور واقعهم و يخاطب وجدانهم بلغة عادية و سهلة و هناك مجموعة من الكلمات لك يحدد معناها إلى يومنا هذا، وإجتهاداته الثغرية في تحديد وزن الكلام[3].

أكثر الأمير من استخدام الأسلوب الخطابي و حروف النداء والاستفهام في مخاطبته لأهل المدينة[4].

---

[1]- سليمان عشراتي، مرجع السابق، ص ص: 56- 76.

[2]- سليمان عشراتي، مرجع السابق، ص ص: 169-174.

[3]- الأمير عبد القادر شاعرا ومتصوفا، نزهة الخاطر في قرين الأمير عبد القادر، تح: محمد الصالح رمضان، مؤسسة الأمير عبد القادر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ص:10.

[4]- صالح السيد، الأمير عبد القادر شاعرا ومتصوفا، عاصمة التقافة العربية 2007، الجزائر، ص:264.

وهناك بعض التعابير تدل على أن الشاعر كان حزينا و متألما ، و نبرته المتألمة من قهر الحبيبة وذلك في مطلع قصيدة أقاسي الحب، من خلال استخدام المعاني المؤلمة مثل قصيدة قاسي الحب، إذ كلما تقرب منها قابلته بموقف سلبي في قوله:

أريد حياتها و تريد قتلي

بهجر أو بصد أو إبعاد.

وفي بعض الأحيان نرى أن الأمير يشعر بالتذلل وخفض الجناح هو طريق كل عاشق أو محب بالإضافة إلى رصد جانب من المعارك التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي بنظره واقعية تاريخية[1].

نرى أن الأمير معظم قصائده الديوانية معبرة عن تجربة الحياة التي عاشها من حب ومعارك وشخصيات تغنى بها أو اتصل بها في مرور تجربته الأدبية وذلك من أجل بناء لوحة واقعية للأحداث التي مرّبها وعبّر عنها بتلك الكيفية.

استخدم الأمير الأسلوب الوصفي في وصف الطبيعة البدوية و الشخصيات و أيضا المعارك التي قادها مدعما وصفه بدلائل وآيات قرآنية، تثبت جمالها وعيا منه، أنه في موقف برهنة وإقناع ووصفها بالرمال الذهبية والبادية المفروشة، ألوان الحقول وغيرها[2].

ومثال ذلك قوله:

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقبا

بساما رمل به الحصياء كالدرر.[3]

نلاحظ أنه تناول مجموعة من البحور التي لها أثر بالغ في اللغة الشعرية، ونذكر من البحر الطويل:

[1]- عشراتي، سليمان، مرجع سابق، ص ص: 77-87.

[2]- وسيلة مرباح، شعر الأمير عبد القادر الجزائري الرؤية والأداة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، ص: 105.

[3]- الديوان، ص ص: 44-45.

مرضت غريبا بني قوم أعزة

فكلهم عن زورتي متمنع[1].

إذن فالأمير عبد القادر كانت لغته وافية من فهم المعنى واستخدم البيانات اللغوية كالسجع الجناس، الوصف .. وغيرها وما يزيد المصداقية في معلوماته من خلال ذكر أقوال العلماء والاستشهاد بأقوال مقنعة ذلك إضافة إلى وصف المعارك التي خاضها مثل قصيدة معركة خنق النطاح.

2- لغة الأمير عبد القادر في الكتابة:

لغة الأمير في الكتابة لغة دقيقة وفصيحة، يتخللها السجع والتشبيهات ونرى أن لغته سهلة مفهومة في بعض الأبيات ومرة أخرى صعبة لا يمكن فهمها ولا حتى شرحها وكذلك استعمال المصطلحات الصوفية، وكذلك اعتمد على بعض الأساليب مثل الأسلوب الرمزي والأسلوب التحليلي المباشر من خلال كتابة المواقف، وكانت غايته من استخدام المنهج الصوفي هو الوصول إلى الحقيقة الإلهية، ومن خلال لغته في التفكير والتعبير كليهما سوف يتيح لنا فرصة الاستدلال على شخصيته، ذلك أنه ينذر العثور على حاكم في ذلك العصر يكون قد بلغ من ثقافة مجتمعه ما بلغه الأمير عبد القادر من تراثه، فضلا عن أن يكون قد أضاف إلى ثقافة التراث مزيدا جديدا من الإشباع والتجلية وحسن البيان، مادام النثر فنا أدبيا كالشعر فيه، كما يذكر د. طه حسين مظهر من مظاهر الجمال و فيه قصد التأثير في النفس في أي ناحية من أنحائها، فإن عبد القادر قد سلك هذا السبيل إلى جانب فن الشعر ليعبر من خلاله عن فكره و تحقيق غايته في الإصلاح العمراني ، لأنه كما نعرف يهدف إلى تجلية جوانب التراث والمشاركة المستمرة المواصلة في تنميته وإلى إصلاح وسيلته بتهذيبه للأسلوب اللغوي وهو يعبر أعوص القضايا في عصره[2].

واستخدم الأمير في لغته الترميز في شعره، وكذلك الإغماض التي بها نستلذ مقروءاتنا، يتخلل لغته التشبيه والاستعارة والتورية، فمثلا في تشبيه الشاعر لزوجته بالغزال والظبي في قوله:

[1]- الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص:82.

[2]- عبد الرزاق بن سبح، مرجع سابق، ص ص: 341-342.

أريد أن أرى ظبي الصحاري*

و أرقب طيفه و اللّيل سار.

واستعملها الأمير تعبيرا عن صلة القطيعة واليأس التي تربطه عن حبيباتهم؛ واستخدمها الأمير في الكثير من قصائده، وهذا ما يدل على أنه وراءها أحاسيس عاطفية، وقد كرر الوصف وشبه الحبيب بوحش البراري ويتذوقها في النحوت والصفات، وهكذا نجد التشبيه الحسي الذي شخص لنا مشاعر الأمير نحو الحبيبة في بعض القصائد، ويتحول في أخرى إلى تجريدي، وما هو ما تجلى في قصيدة جفاني من أم البنين و في صلة بها في قوله[1]، وهو يعبر عن استحالة عيشها بدونها حيث قال:

وما هي إلا الروح بل إن فقدتها

فإن بقائي دونها لمحال.

والتشبيه في قوله في كتاب المقراض الحاد ونور العقل يشبه نور النار من وجهتين و هما عيب فيه.

قال: كأصحاب القرعة والفال عن المنجمين[2].

ويعتمد في كتابته على شرح أقوال بعض العلماء مثل البيضاوي في حركة الأرض، وسعد الدين والشيخ زاد في شرحه لهداية الحكمة، الكواكب وغيرها وكذلك التفصيل في خلق الله لأجسام الإنسان مع تعريف بعض المصطلحات العلمية مع مثل العلم، الإدراك، الحواس ... في كتاب المقراض.

والكناية في قوله أم البنين أي الحبيبة إذن فالمرأة في تراث الأمير هي ليست جسدا بل قيمة.

ويتبين الوصف من خلال الرسالة التي وردته من طرف داود البغدادي، من خلال صورة الأنثى صاحبة الحسنى، وكذلك نظم شعرا حول البطولة والفروسية "الصافنات الجياد" ومن أهم العلماء اللذين اشتهروا بالغزل في ذلك العصر "الأمير" مصطفى بن إبراهيم، محمد بلخير[3].

* – ظبي الصحاري: غزال الظرات، الديوان، ص:40.

[1] – سليمان عشراتي، مرجع سابق، ص ص: 58-63

[2] – الأمير عبد القادر، الديوان، تح: ممدوح حقي، ط 03، دار اليقظة العربية، ص ص: 18-32.

[3] – سليمان عشراتي، مرجع سابق، ص ص: 67-74.

كما أن لغته يتخللها نوع من التناص من خلال قصيدته الشهيرة ياعاذلا لإمرء قد هام..

وقوله:

لو كنت تعلم مافي البدوي تعذرني

لكن جهلت و كم في الجهل من ضرر

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقبا

بساط رمل به الحصياء* كالدرر

فقد خلت لغته من بعض الأغراض لاسيما الرثاء والهجاء، لأنهما كانا يتقربا بها الشعراء إلى المركز والسلطة وهو لا يطمح إليها ولا تهمه[1].

وأن بكاء الرجال يعد ضعفا تأباه أعراف المجتمع والنواح من نصيب المرأة أمّا الرجل فيرضى بقضاء اللّه وقدره سواء قبل أو أبى، فليس باليد حيلة إلا الصبر.

احتوت لغته مجموعة من الألفاظ مثل لفظ كنز، تردد في قصائده الوجدانية الموصولة بالقلب والعاطفة، نعت به محبوبته كمؤشر دلالي، الذخر، الكهف، البحر، الفقر ... وهذا دليل على مشاعر الخوف والخطر والتوتر واستخدمها لإخفاء العبارات النفسية لكي لا تظهر في شكلها الخارجي أو الواقعي، وكذلك استحضار الأسماء المجيدة[2].

استخدام مصطلحات الإبل والصحراء والقفار دليل على البدو أو الريف من خلال انتمائه وصور بدوية مستلهمة من الواقع البدوي، وغايته استعراض أجمل الحياة العربية وأنها أحلى من المدنية وذلك من خلال تأكيد واقع البادية وعرض هوايات أكملت رجولتهم، مثل الفروسية والقتال في قوله نطارد الوحش والغزلان واستخدام الإحالات والاقتباسات[3].

* - **الحصياء**: جمع حصى: عشراتي سليمان، ص:107.

[1] - سليمان عشراتي، مرجع نفسه، ص:107.

[2] - المرجع نفسه، ص:75-150.

[3] - نفسه، ص ص:177- 209.

والمقابلة بين الواقعين ورأي الأنا في الآخر، ونجد قصيدة توسد بمهد الأمن تتجانس في بعض الجوانب مع القصيدة السابقة وهي معرض المرتكزات الحضارية، ويظهر استدعاء للحرب في بعض مظاهرها: الرمي والنار والأسلحة التي كانت تستخدم فيها، فضلا عن السيف والمعدات التقليدية، وتجانس الخطاب مع قصيدة فتح تلمسان وقصيدة النهر هي قصيدة الأمير في شيخه الفاسي، تعد عرضا للأجواء التي عاشها الأمير برفقة محمد الفاسي كالسيرة الروحية والسلوكية في الخلوة، وهي إمتداحا لشيخه ذكر فيها بعض النعوت مثل عياذي، ملاذي .. وهي ضمن الفخر الضمني، وتضمنت الاقتباس والتضمين، كما وظف الكناية بالخمر عن السعادة التي يجدها السالك وصفات الأمير ذاته أسقطها على شيخه مع تبيين النهج السلوكي في إخلاصه والشعر التصوفي من خلال ذكر المحبوب أن لا يكون غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لغة الإستفهام:

وذلك لطلب الحصول في الذهن، إمّا يكون حكما بشيئ على شيئ أو لا يكون، وقد وظفه الأمير متعجبا من اللّذين وظفوا عقولهم في الحكم على الذات الإلهية[1]. حيث قال:

فيا خيبة العقل في حكمه

على العين سترى فلا يقشع

فأين اللّذي فوق عرشه علا ؟

ومن هو أسفل الأرض عوا؟[2]

لغة الأمر:

وهو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء، وقد برز هذا الأسلوب في قصيدة الأمير التي يناهض فيها أصحاب العقل وينصح بالتزام الشرع[3].

[1]- وسيلة مرباح، مرجع سابق، ص:146.

[2]- المواقف، مصدر سابق، ج1، ص:06.

[3]- وسيلة مرباح، مرجع سابق، ص:146.

في قوله:

عليك بالشرع فألزم طريقته

فحيث ماسار، سر وإن يقف فقف[1]

كما يستشهد في نثره على أقوال الرسول عليه السلام وبعض العلماء مثل المناوي في إثبات معلوماته من خلال المقراض الحاد، حيث قال عليه السلام "أفضل المؤمنين أحسن خلقا من الناس" رواه الحاكم.

وذلك يعني أن المسلم من يتصف بأخلاق حميدة ودينية وأن حسن الخلق هو من حسن العقل مع الاستشهاد، بأبيات بعض الشعراء مثل قول إمرئ القيس:

و تعرف فيه من أبيه شمائلا

ومن خاله و من يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا وفاء ذا

ونائل ذاك ذا صحا ذا سكر[2]

كما نلاحظ إستخدامه للسجع في بعض الأبيات في ديوانه نذكر:

توسدت بمهد الأمن قد مرّت النوى*

وزال لغوب** السير من مشهد الثوى***.[3]

النهي: هو طلب الكف عن الفعل وهذا ما تجلى في قوله:

أنا مطلق فلا تطلبو الدهر لي قيد

ومالي من حد فلا تبغوا له حدا.

---

[1]- المواقف، مرجع سابق، ص:06.

[2]- الأمير عبد القادر، المقراض الحاد، دار الطاسيلي الجزائر، 1989، ص ص: 213 -247.

*- **النوى**: البعد.

- **الغوب: أشد الأعياء والتعب.

***- **الثوى**: الإقامة.

[3]- الديوان، مصدر سابق، ص:28.

وهكذا ساهمت الأساليب الإنشائية في إبراز رؤية الأمير عبد القادر الجزائري لحقيقة بعض القضايا والواقف كما أبرزت بلاغته وحسن كتابته في توظيفها في اللغة العربية[1].

[1]- وسيلة مرباح : مرجع سابق، ص: 147.

المبحث الثاني: موضوعات الأمير وقضايا كتابته.

تطرق الأمير عبد القادر في مساره التعلمي إلى مجموعة القضايا التي كتب عنها في التصوف، في تنظيم الجيش وعن الفروسية وغيرها من المواضيع المعاصرة له.

1- القضايا الأدبية:

أ- المجال الصوفي:

التصوف الإسلامي لا يمكن حصره بتعريف شامل، وأن المتصوفين لم يعرفوه إلا من خلال أحوالهم ومجاهداتهم التي عايشوها واختبروها، وقد بلغت هذه التعاريف تعددها وكثرتها[1].

ولاحظ ابن خلدون أن الكثرة العددية الساحقة في التعاريف الصوفية و يرجع ذلك الاختلاف إلى سببين هما: اختلاف أحوال المتصوفين وتطور الحياة الإسلامية[2].

أما بالنسبة لمفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر فهو يعتبره "جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله و إدخال النفس تحت طاعة الله من أجل إرضائه، والإرتياح لهذه الأحكام الإلهية ولا شيء آخر من غير الجهاد في سبيل الله.

ويوجه الأمير تحذيره الصوفي بمن يجاهد نفسه من غير إرضاء الله، أو تجلى أنضار العامة إليه أو من أجل الحصول على مصلحة أو منفعة له.

والصوفيون في نظر الأمير هم الذين يجب عليهم أن يكونوا في جميع أحوالهم حاضرين مع الله تعالى.

ولقد أطلق الأمير على الصوفيون ألقابا عديدة فهم تارة أهل الله و العارفون أهل الكشف و العرض.

ويرى الأمير أن الصوفيون هم سادات طوائف المسلمين، لا ينفون الصفات التي أثبتها الأشاعرة ونفوها المعتزلة وأن الله تعالى كامل الذات، ولا تسمى الصوفية ما ينسب إليه تعالى بل تسمى بالأسماء، ويستشهد بالآية الكريمة وقال تعالى "له الأسماء الحسنى"[3].

---

[1]- الشيخ المغربي، قواعد التصوف علو وجه يجمع بين الضريعة والحقيقة، ص:06.

[2]- القشيري، الرمالة القيشرية، ج2، ص:151.

[3]- الأمير عبد القادر، الواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ج1، منشورات محمد على بيضوف، دار الكتب العلمية لبنان، ص ص: 191- 376.

- القرآن الكريم، سورة طه، الآية 8.

ب- أسباب التصوف عند الأمير عبد القادر:

ومن الأسباب التي حملت الأمير على التصوف كثيرة ومتنوعة ونظرا لأهميتها يجب دراستها من أجل الدخول في عالم الأمير التصوفي.

1/ نزعته الإنسانية:

وهي النسب الحقيقي، الذي أراده الأمير أن يكون همزة وصل بينه وبين الإنسان سواء كان في أوروبا أو في دولة أخرى، مسلما أو مسيحيا، إذ أن أساس الديانة، وأصولها، خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد عليه السلام فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإله وتعظيمه "وهذا ما نطبقه في القول المعروف بالرسول صلى الله عليه وسلم حين قال "لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلّا بالتقوى"[1].

وأكثر ما تبدو نزعة الأمير الإنسانية في قصائده الصوفية التي أكد في بعضها على وحدة الأديان السماوية[2].

وهذه النزعة الإنسانية هي سبب من أسباب تصوف الأمير ولا يجوز إخفاء الناحية الإنسانية في بناء شخصية الأمير الصوفية من خلال دراسته في الزوايا.

2/ انتماؤه إلى آل البيت النبوي:

هم من أهل البيت النبوي وهم المعنيون بأهل القلوب في قوله للقصيدة أبونا رسول الله و مطلعها:

أبونا رسول الله خير الورى طرّا

قمة في الورى يبغي يطالنا قدرا.[3]

[1]- الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص:101.

[2]- المواقف، مصدر سابق، ص:20.

[3]- ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: الدكتور ممدوح حقي، ط 03، دار اليقظة العربية والترجمة والنشر، ص:14.

والأمير يرى أن كل من كان من أهل البيت الإلهي هو من أهل البيت النبوي.. ولا ينعكس، ويخلص الأمير إلى نتيجة وهي اعتبار الشرع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه قريب من القلب بصفة باطنية.

فالأمير يفتخر بنسبه الحقيقي بأنه من أهل البيت الإلهي.

3/محاربة التقليد والمقلدين:

بيان السلوك أو الوسيلة لطريق المعرفة، أمر تعالى المؤمنين بالتقوى اللذي هو أساس لسلوك المعرفة والوسيلة هو الشيخ الكامل بالنسبة للعارف بالطريق والأمراض المانعة من الوصول إلى العلم بالله تعالى ولا تغني عنه الكتب ليشين الصحيح من السقيم وأمّا بداية السلوك فيكتفي بالكتب المصنفة في المعاملة المطلقة[1].

2- مراحل التصوف عند الأمير عبد القادر:

تنقسم حياة الأمير عبد القادر إلى ثلاث مراحل:

أ- المرحلة الأولى:

هي المرحلة التي سافر فيها إلى دمشق مع والده وأخذ من علمائها وتلقى الطريقة النقشبندية[*] فيها عن الشيخ خالد النقشبندي[**]، والطريقة القادرية التي تلقاها ببغداد عن الشيخ محمود الكيلاني القادري،وحاول نشر معلوماته عن طريق إنشاء المراكز في القرى وبين القبائل[2].

وإن كان تناول الطريقتين الصوفيتين من دمشق وبغداد في أثناء الرحلة المشرقية، لم يصل بعد في تصوفه إلى الأفق الذي أراده ولا إلى مستوى النضج الصوفي، وخير دليل على ذلك ديوانه، وتوجد فيه قصائد قديمة، وتعرف هذه المرحلة بالتطلع والمطالعة أي مرحلة التثقف الصوفي[3].

---

[1]- المواقف، الوقف 276، ج1، ص ص: 64- 348.

[*]- **الطريقة النقشبندية:** تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري وهي أقرب الطرق للوصول إلى درجات التوحيد، الأعلام الزركلي، ج 03، ص:294.

[**]- **الطريقة القادرية:** تنسب للشيخ عبد القادر الجيلاني وتمتاز طريقته بالاعتدال والتساهل وإتباع السنة وحب الخير نفسه.

[2]- بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب، مصدر سابق.

[3]- فؤاد الصالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص:129.

ب- المرحلة الثانية:

مرحلة عزوته وخلوته في مدينة أمبواز في فرنسا، في الأسر أو المنفى حين كان سجينا أشار إليها في كتاب الموقف " الموقف 211"[1].

وهي مرحلة الفتوة، كانت حروب الأمير ومرابطة في الثغور ضد الفرنسيين من مراحل تصوفه، فلم يكن يحارب فرنسا بل حارب من حمل السلاح، وروح الفتوة هي ما ذكرناه سابقا ويعامل أسراه بحسن معاملة، وكان الأمير مؤمنا بالتصوف الإسلامي وهذا ما ظهر جليا في الموقف 99 من مواقف الأمير، وجعل الإسلام عبادة وكل عمل خير يعتبر عبادة.

وهكذا كان الأمير عبد القدر عمليا في تصوفه، يسمو بتدينه الصحيح إلى الفتوة والمرابطة بمعناهما الإنساني النبيل.

ولما كان أسيرا في السجن، وكان متضايقا وصور حالته النفسية، وضاقت عليه الأرجاء والأنس والوحشة، والتأمل الصوفي والتفكير الروحاني الهادئ العميق، فكان يقضي أوقاته في الصلاة والذكر والدعاء[2].

ج- المرحلة الثالثة:

وفيها تم الترقي الصوفي، وصل إليها بمجاورته بمكة المكرمة سنة 1279هـ، حيث أقبل على العبادة والخلوة، التقى فيها بالشيخ محمد الفاسي[3]، ختم الأميرهذه المرحلة بالجهاد والنضال وهو الجهاد النفسي، وتغلغل في علوم القوم وأظهر الحقائق، معتزلا عن القريب والبعيد، وهي أطول مرحلة لمدة 3 سنوات، قضاها الأمير متنقلا في المنفى خارج أرض الجزائر، بعد فكاك أسره في أمبواز إلى أن استقر في دمشق، وأغناها بالإنتاج الأدبي والفكري، وارتقى في معارج الأسرار الإلهية[4].

---

[1]- المواقف، مصدر سابق، ص:22.

[2]- الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص ص: 131- 132.

[3]- المواقف، مصدر سابق، ص:22.

[4]- الأمير عبد القادر الجزائر، متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص ص: 133 - 134.

وفي الأخير هذه هي المراحل التاريخية لتصوف الأمير، تدرجت تدريجيا حتى وصوله إلى النضوج الفكري والصوفي عبر رحلته الصوفية، ومن خلاله نستنتج أن من مؤلفات الأمير في المجال الصوفي هي كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد.

2- في المجال السياسي:

أ-رسائله السياسية:

وهي رسائل تبادلها الأمير مع رؤساء الحكومات الفرنسية وقوادها الحربيين أثناء وقوعه، أسيرا في أمبواز بفرنسا وتمتاز بالخبرة السياسية، وبعد النظر في الشؤون الحربية وخاصة الرسائل التي تبادلها مع الجنرال بيجو وهي تتسم بالشدة والصراحة الوقعية.

وكذلك إرسال رسالة إلى الأسقف الفرنسي دوبوش، وكذلك أجوبة الأمير عن 20 سؤال التي وجهها إليه الجنرال دوماس وهي أسئلة تتعلق بعادات العرب والمسلمين، وتقاليدهم في الزواج، ومقارنة المرأة العربية بالأجنبية ورسائله إلى العالم اللبناني يوسف بك كرم .

تبادلت هذه الرسالة أثناء حركة 1294هـ – 1877م الاستقلالية ومحاولة الولايات السورية الاستقلال عن الدولة العثمانية، وشجع يوسف الأمير إلى القيام بهذه الحركة ودعاه إلى قيام وحدة عربية برئاسة الأمير نفسه[1].

ب- الديبلوماسية:

هي المباشرة بالعلاقات الدولية، فالفعل القتالي في الحقيقة هو المستوى السياسي، السافر والعملي الذي يريد بلوغ أهدافه عن طريق التصرف ن بواسطة الحوار والمراجعات السلمية، وتحقيق الغايات بأساليب الإقناع والمفاوضات، وكذلك استجابة الأمير لكل إشارة تأتيه من جهة العدو تحمل علامة التسليم له بالحق في السيادة على البلاد، وكان الأمير يريد إقناع بعض الدول الأخرى من أجل دعمه في سياسته، من حيث التزود ببعض التجهيزات الحربية والحاجات التجارية التي كانت توفرها أسواقها الحرة، وبالطبع فرنسا قابلة بالسياسات الإغرائية والوعود الكاذبة وعملت ما بوسعها لوقف

[1]- الامير عبد القادر الجزائري، شاعرا ومتصوفا، مرجع سابق، ص ص: 103-104.

دم أشقاء الدول لدم الأمير، وترصد صلات الأمير بهم .ركز عل سياسة الأمير الخارجية، وإرسال جواسيس من أجل نقل أخباره إلى العدو، وكان الأمير يصرف جهده في السعي لاستثمار المجالات السياسية والديبلوماسية وكان يتواصل أكثر مع سلطان المغرب، وراسل سلطان الباب العالي، وداوم على مراسلة محمد علي، والمسؤوليين المصريين، وكان يغتنم المناسبات لمراسلة الحكام المسلمين الشخصيات العلمية، وتذكيرهم بواجباتهم اتجاه الشعب[1]. ويتبادلون الهدايا والتحف المادية، والسرائر والخيل المسومة والنفائس، وذلك من أجل التآزر والمودة وتذكر أن الأمير تسرى ببعض السودانيات اللواتي أهدينا له، وكان يشجع على استقدام أهل الخبرة في البلاد، لاسيما في المجال العسكري والتصنيع والتجارة ونشط تجارة السلاح مع البلاد العربية والعثمانية على أيدي وسطاء أجانب مسلمين، كما ضمت مصانع التعدين والضرب، وكذلك المهمات العسكرية وأنشطة أخرى كالمراسلات والانتداب والمهام الخاصة. مما يشهد باستنارة الأمير الديبلوماسية حسن انتقائه للعناصر الوطنية المكلفة في هذا المجال هو الميلود بن عراش وزير خارجية الدولة الجزائرية، لأنه كان قريب من الأمير كقائد يخوض المعارك وتولى عدة مناصب، وأرسه الامير لمقابلة ملك فرنسا في باريس، واستغلال فرصة المهادنة في تنفيذ برنامج الجهاد الأكبر، قام بمراسلات مع اسبانيا واستطاع جلب بعض حاجياته الحربية، وتبادل صادرات الحبوب، الزراعة والصوف ببضاعة أوروبية مستوردة، واستيراد الحديد.

كذلك تعامل مع أمريكا وتقدم الأمير إلى انجلترا بعروض ضد فرنسا، وعمل كذلك مع اسبانيا واختار ممثلين له من عدة دول حتى الإيطاليين واليهوديين[2].

ومما يثبت أن الامير يتعامل في المجال السياسي عن طريق تبادل العلاقات ولا يمكن لإنسان أن يعيش دون آخر وهذا ما يظهر جليا في كتابه المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد " ترابط أشغال الخلق وأعمالهم بقوله: وأما أهل البلد فيتعاملون بالحاجات ويتنازعون فيها، ولو تركوا ذلك لتقاتلوا"

[1]- عشراتي، سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، مرجع سابق، ص ص: 247-258.

[2]- الأمير عبد القادر السياسي، مرجع سابق، ص ص: 259-279.

إذن فكل إنسان بحاجة لآخر في دعمه وطلب يد العون منه فالحداد يحتاج إلى التجار وإلى الفلاح وإلى الصانع و إلى من يحميهم بالسلاح ويدافع عنهم من أجل توفير الأمن لهم، وهذه الأمور سياسية لا يمكن التخلي عنها في الوقت الراهن.

ويحتاج الطعام إلى خباز وطحان وإلى الكسوة وغيرها ولهذا امتنع الإنسان أن يعيش وحده ويجب تحصين البلاد من الأعداء مثل تحصين المنازل من اللصوص[1].

3-المجال الأدبي:

أ-النثر:

ترك الأمير عبد القادر آثارا نثرية ذات قيمة علمية هامة منها: وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب وهو عبارة عن رسالة كتبها الأمير عبد القادر، ولخص فيها الأنظمة والقوانين العسكرية والمكفآت والعقوبات التي سنها الأمير بجيشه[2].

اهتم الأمير في هذا الكتاب يذكر ترتيب جيشه وتقسيمه إلى ثلاث فرق، الخيالة الفرسان المشاة الرماة، وعين الرواتب الشهرية حسب الرواتب العسكرية ومواد التدفئة و الغذاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعيين الإشارات أو الأوسمة العسكرية.... الخ [3]. فالعمل الأدبي هو فطرة ما أو إحساس معين يقوم الأديب بالتعبير عنه بالألفاظ العبارات، ولكل أديب أدواته ووسائله في التعبير الكتابي عبر فقرات، التي تنبع من قدراته النفسية الفكرية والأمير عبد القادر نظرا لظروف عيشه جاء أدبه معبرا عن أصدق الانفعالات في حياة مقاتل ومجاهد، وذلك من أجل التعبير عن قضايا عصره وهو يهتم في أدبه بالتسلسل والترتيب. ففي كتابه ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المقراض الحاد، تناول الأمير موضوعات العقل بلغة الفلاسفة والمناطقة، والحديث عن الأفلاك والأجرام السماوية بلغة

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد، دار الطاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص ص: 26-27.

[2]- فريدة قاسي، مرجع سابق، ص:70.

[3]- الأميرة بديعة الحسني الجزائرية، مرجع سابق، ص:61.

الفلكيين الجغرافيين والتعبير بدقة عن الإنسان وأعضائه وأجهزته بلغة الأطباء، بعرض حقائق علمية[1]. وتناول كذلك أنواع العقول والحواس الخمسة كالشم والذوق واللمس وكل شيء تحدث عنه بالتفصيل بعنوان القوى المدركة والقوى المحركة. بالاستناد في كتابه النثرية إلى الدين وبعض الرواة[2].

وتعتبر رسالة الأمير " المقراض الحاد " رد بها على الطاعنين في دين الإسلام، والبدع التي تثبت بها ورتبها في مقدمة و03 أبواب:

المقدمة في الكلام عن العقل وما يتعلق به. والباب الأول في إثبات الألوهية والثاني إثبات النبوة مع الرسالة والثالث هو موضوع الرسالة، فيه بيان في الشرع من وجوب الوفاء به وترك الغدر والنهي عنه كالصدق والكذب[3].

أما بالنسبة لرسالة ذكرى العاقل، تضمنت مسائل في مختلف العلوم كالتاريخ والفلسفة والدين وهي رسالة في الحكمة والشريعة وسبب كتابته لها ذكره في المقدمة حين قال: بلغني أن علماء باريس كتبوا اسمي في دفتر العلماء "انتخاب المجلس العلمي الفرنسي الأمير عضوا مراسلا" وعظموني في سلك العظماء، ثم أشار على بعض المحبين منهم بإرسال بعض الرسائل إليهم وميل الأمير إلى مثل هذه الموضوعات ناتج عن قراءته لكتب فلاسفة ومسلمين وتعرفه على المظاهر الحضارية والعلمية[4]. وكذلك رسالته حسام الدين لقطع شبه المرتديين وهي رسالة للرد على المخالفين، بأدلة شرعية مستندا إلى آيات قرآنية ونقل الأمير في رسالة تحريم الإقامة وترك الهجرة[5].

ويظهر كذلك النشر في كتابه المواقف الذي شرح فيه بعض الآيات القرآنية في مواقفه وحتى نفس الكتابة في بغية الطالب من خلال شرح موقفه.

---

[1]- عبد الرزاق بن سبع، مرجع سابق، ص:343.

[2]- المقراض الحاد، مرجع سابق، ص:108.

[3]- فريدة قاسي، المرجع السابق، ص:72.

[4]- المرجع نفسه، ص:73.

[5]- حمحامي مختار، حوار الذات ومعالم الاجتهاد عند الأمير عبد القادر من خلال رسالته حسام الدين، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ص:406.

ب– الشعر:

الديوان هو أكبر آثاره الشعرية، نظم على فترات متقطعة، رافقه من حياته حتى مماته، ونظم فيما بعد ترتيبا لأغراض محققة، وهي خمسة أنواع: الفخر، الغزل، المساجلات، المناسبات، التصوف إذن فالديوان رتب ترتيبا موضوعيا، تبعا لموضوعاته وفنونه، وليس ترتيبا تاريخيا وكذلك القصائد الواردة في مقدمة كتاب المواقف، وقد بلغ 19 قصيدة ومقطوعة[1].

وكان الأمير يكتب من باب الفخر إلى كل صورة يهديها الأبيات التالية:

ألئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك الرسم صورتنا العظمى*

فثم وراء الرسم شخص محجب له همة، تعلوا بأخمصها النجما

وما المرأ بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالعقل، والخلق الأسمى

وإن جمعت للمرء هذه و هذه فذاك الذي لا يبتغي بعدما نعمى[2]

ونرى أن معظم قصائده دارت حول مضامين تعلقت إما بشؤون الذات والقلب والروح، أو منه وقائع تجربة الحياة، إذا الشعر هو تجسيد المشاعر والآمال بألوانها القزحية، فجميع قصائد الديوان هي تجربة الشاعر في حياته وكتب أشعارا عاطفية ووجدانية فجاء الغزل الموضوعي مثل التغزل بالمرأة[3] وبالذات الإلهية وكل القصائد التي تضمنها الديوان في الغزل، قالها الأمير في الزوجة ابنة عمه التي يمثلها للحبيبة في حسه ووجدانه، وينعتها بالغزال والظبي وهما وصفان من جملة الشعراء واستخدم لفظ الظبي لأنه من مرادفات الغزال وهو التشبيه التراثي في المخيال العاطفي العربي. ويعترف بامتلاكها جمال لا يقاوم، ففي قصيدة تلمسان نجد الشاعر يفصح عن الوجه والجوارح والملامح، وأشياء أخرى أنثوية وفي قصائده الغزلية تتغلب الشكلية الأدبية على المضامين، وتنويعا في بعض الأغراض الشعرية

[1]– فريدة قاسي، مرجع سابق، ص:70.

*–كان من عادة الأمير أن يكتب هذه الأبيات تحت صورته أو خلفها لمن يهديه إياها نفسه.

[2]– الديوان، مصدر سابق، ص:13.

[3]– ينظر: الملحق رقم (05).

من الغزل . ولقد اتسم شعر الأمير بخصائص شعورية وعاطفية، ونرى أن الشاعر وجوده بوجود حبيبة ويربط بهجته بحضورها أمامه[1].

وكذلك القصائد الموجودة في كتاب نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر فمن الناحية الأدبية، فقد قهر أساليب الدوران حول المعنى، وهي تقريبا نفس القصائد الموجودة في الديوان ولا يذكرها بعض الكتب الأخرى مثل تحفة الزائر ولاحظنا أنه يتحدث بضمير الغائب في الجزء من القصائد[2].

وظل الشعر في عصره بين الأغراض التقليدية التي لا تخرج عن دائرة الهجاء والمدح، والعتاب، والوصف، الترسل الإخواني المشحون بالعواطف والمخاطبات والمجاملة الساذجة، وبعدها بدأت بالاستلهام بمنتوجات الغرب الإبداعية، وذلك بالإقدام على التجريب وتجاوز التقاليد[3].

[1]- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر الشاعر، ط 3، 2009، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ص:53-79.

[2]- نزهة الخاطر في مصدر الأمير عبد القادر، الصالح رمضان، مصدر سابق، ص:20.

[3]- أبو قاسم، سعد الله، مرجع سابق، ص:49 .

المبحث الثالث: مصادر الأمير في كتابته:

اعتمد الأمير في كتابته أو مصدر أخذ معلوماته من عدة شخصيات أو المشايخ الكبار الذين عاصرهم وعلى مجموعة من المصادر المعروفة التي أفادته في تطوير معلوماته.

أ- بعض المشايخ أو العظماء:

1- الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي الخراز، أبو القاسم[*]:

صوفي من علماء الدين، اعتمد عليه الأمير في كثير من مواقفه منها الموقف 17 حيث قال: "سئل سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه عن العارف والمعرفة وأشار الجنيد رضي الله عنه إلى أن العارف ...."[1]، وقام الأمير بشرح قوله.

2- **عبد الكريم الجيلي**[**]: استشهد الأمير بقوله كل من اجتمع هو وآخر في مقام من المقامات الكمالية كان كل منها غني عن الآخر في ذلك المقام ومن عرف ما قلناه علم معين قول العلاج ...[2].

3- **محمد الفاسي**: أخذ عنه الطريقة الشاذلية في مكة، وأشار إليه الأمير عبد القادر في قصيدته، يمدحه فيها:

أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر

4- **النبي محمد " صلى الله عليه وسلم "**: إذ أن الأمير يعتبر الهجرة إلى الرسول هي المقصد الثاني للدلالة، وتعريف سلوك طرق المطلوب، وهي هجرة جسمانية ومن الألقاب التي أسندها الأمير على النبي صلى الله عليه وسلم السيد الكامل معلم الأدب معلم الأدب[3].

---

[*] - ولد ببغداد سنة 297هـ /910م وعدة العلماء شيخ مذهب التصوف به كتاب دواء الأرواح، اعتمد على الأمير عبد القادر في مواقفه.

[1] - المواقف، مصدر سابق، ص:131.

[**] - من علماء المتصوفين، له كتب كثيرة منها: المناظر الألهية، الأعلام، مرجع سابق، ج4، ص ص: 50-51.

[2] - المواقف، مصدر سابق، ص:127.

[3] - المصدر نفسه، ص ص: 18 -231.

5- **الجاحظ**: من خلال التحدث عنه في بعض محتوياته وهو ما يشبه إطلاعه عليه وتبقى المصادر كثيرة لا يمكن إحصائها إضافة صحيح البخاري ومسلم، والأحاديث النبوية و أبي حامد الغزالي وغيرها ....

2- بعض الكتب التي أخذ منها الأمير عبد القادر:

1- **كتاب نصوص الحكم لصاحبه محي الدين ابن عربي**[*]: هو كتاب الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، شرحه الشيخ عبد الرزاق القشاني، طبع لأول مرة بالقاهرة، 2016م يحتوي على 344 صفحة في التصوف الإسلامي، يعرف صاحبه بالشيخ أبي بكر محمد بن علي الملقب بمحي الدين بن عربي، المتوفي سنة 638هـ/1240م وهو من المؤلفين الكبار أمثال ابن سينا والغزالي، ألف 289 كتاب، هو فيلسوف صوفي كل يستند فص من فصوصه 27 إلى طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تنسب حكمة الفص إليه، اعتمد عليه الأمير عبد القادر في كثير من مواقفه[1].

2- **كتاب الفتوحات المكية لصاحبه الشيخ محي الدين ابن عربي**: من أرقى كتب التصوف الإسلامي الرمزية، تمت الإشارة إليه في كتاب ديوان الأمير عبد القادر، في قول الشيخ السوري[2].

لله أفق صار مشرق دارته فمر ين هلا من ديار المغرب
الشيخ محي الدين ختم الأوليا فمر " الفتوحات " الفريد المشرب[3].

وهو كتاب يحتوي على مجموعة من الأبواب نحو 560 باب نذكر منها الباب الأخير بعنوان في وصية حكمة شرعية، ينتفع بها المريد والواصل يحتوي على 06 فصول وهو عبارة عن الفصل في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، والباب 68 في أسرار الطهارة ... ونواقض الوضوء والاغتسال ليوم الجمعة ... وهو عبارة عن أحكام في فتاوى مهمة، ويحتوي على 574 صفحة[4].

---

[*] - **ابن عربي**: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم من قبيلة طي، مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليتها وإسلامها.

– محي الدين لبن عربي، الفتوحات المكية، م1، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ص:03.

[1] - محي الدين ابن عربي، نصوص الحكم، شر: الشيخ عبد الرزاق القاشاني، دار آفاق للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2016، ص ص: 06-12.

[2] - الأمير عبد القادر، الديوان، مصدر سابق، ص:04.

[3] - الديوان، مصدر سابق، ص:04.

[4] - محي الدين ابن عربي، مصدر سابق، ص:03.

3- **كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي**: هو كتاب في العلم –قواعد العقائد- أسرار الطهارة ومهماتها وأسرار الصلاة . كانت طبيعته الأولى سنة 1432هـ /2011م المملكة العربية السعودية اعتمد عليه الأمير في بعض مواقفه الصوفية منها الموقف 105[1].

يحتوي هذا الكتاب على 07 أبواب، من بينها الباب الأول بعنوان: في فضل العلم والتعليم والتعلم، مع الاستدلاء بشواهد من القرءان الكريم، وكذلك ذكر فضيلة التعلم فمثلا يذكر في الصفحة 110 بيان علة أو سبب العلم أو ذم العلم، بالاعتماد على القرآن الكريم وبعض الرواة مثل البهيقي، مسلم، البخاري ...، يحتوي الكتاب على أكثر من 500 صفحة يتناول كيفية الغسل حيث قال: وهو أن يضع يديه ثلاثا، ثم يستنجي كما وصفناه ...الخ . ويشمل ربع العبادات على عشرة كتب[2].

4- **القرآن الكريم**: كان الأمير عبد القادر يستوحي معلوماته من خلال شرح الآيات القرآنية في مواقفه[3].

5- **كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي حسن الأشعري**[*] : هو من أخر مؤلفاته أول طبعة له كانت سنة 1432هـ، حققه صالح التميمي، يحتوي على 744صفحة، وهو كتاب يعالج قضايا العقيدة، وبعدها تحول إلى منهج لأهل السنة، يحتوي على 03 فصول الأول حياة الأشعري، والثاني يحتوي على مباحث من خلال منهجه في الكتابة ومصادره ومنزلته في التاريخ ... والثالث أثر هذا الكتاب على الأشاعرة[4].

---

[1]- المواقف، مصدر سابق، ص ص: 09-43.

[2]- أبي حامد الفزالي، إحياء علوم الدين، م1 دار المنهاج، ط1، 1432هـ /2011م، ص:500.

[3]- الأمير عبد القادر، المواقف، مصدر سابق، ص ص:09-43.

[*]- **أبي حسن الأشعري**: هو أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري أي من أهل السنة قيل ولد سنة 260هـ .

- أبي حسن الاشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تح: صالح التميمي، مكتبة الملك، الرياض، ط01، 1432- 2011م، ص:19.

[4]- الإبانة عن أصول الديانة، المصدر السابق، ص:20.

خلاصة:

وفي الأخير نستنتج أن الأمير عبد القادر الجزائري إضافة إلى جهاده العسكري خلف علما كتابيا حقق النهضة العلمية في عصره، تناول من خلالها عدة قضايا في مجالات مختلفة مثل التصوف، الفروسية، وذلك بلغة سهلة يستطيع فهمها أي قارئ وبأسلوب خطابي وصفي ورمزي وغيرها وإثبات ثراءه العلمي بذكر مجموعة من الأقوال والأحاديث الشريفة والقرآن الكريم.

الفصل الثالث

المساهمة التاريخية والعلمية للأمير

عبد القادر

تمهيد:

عرف الأمير عبد القادر الجزائري بالأديب والشاعر، نظرا لمساهمته في الكتابة التاريخية والعلمية الثقافية وهناك دراسات تناولت هذا الجانب من حياته الفكرية الحافلة بالعلم، حيث كتب في معظم الموضوعات منها الفخر والغزل ...الخ. معبرا من خلالها عن رؤيته لقضايا متعددة تخص شخصيته وحياته ومجتمعه وهذا إن كان يدل فهو يدل على مدى أهمية علمه وكتاباته وتأثيرها في مجتمعنا ونظرا لأهمية مواضيعه العلمية تناولها جل لدارسين من أجل تسهيل فهم لغته وكتاباته وتوصيل المضمون بشكل أسهل.

المبحث الأول: المساهمة في الكتابة التاريخية.

نظرا للمؤلفات والرسائل التي خلفها الأمير عبد القادر في علمه الواسع مختلف المجالات التاريخية تناولها العلماء أو المؤرخين أو نحن كطلاب باحثين، كمصدر للمادة العلمية من أجل دراسة حياته.

كتب عنه الكثير من المؤلفين الجزائريين بسيرته خاصة بعد 1847م، واللذين يملكون عنه أكثر من غيرهم وثائق عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره، ولم يكتبوا عنه إلا أشياء متفرقة، ترمي إلى إثبات تفوقهم عليه[1].

وقد عرف الأمير عبد القادر بأنه رجل فكر و حرب في نفس الوقت فقد ألف بعد خروجه من الجزائر عدة أعمال فلسفية وتاريخية ودينية[2].

رغم أنه واجه عدة انتقادات على أفكاره الدينية المتحجرة في "عصر رينان وكلود بيرنارد" المليئة بالتقاليد العربية المتأخرة، وهناك كتاب آخر عن الأمير لكاتبه مصطفى بن التهامي يذكر فيه أراء الأمير في التصوف والدين و التاريخ، ومازال هذا الكتاب مخطوطا، وليس له عنوان[3].

أ- مساهمة الأمير في النهضة العربية:

ساهم بشكل كبير في بناء نهضة عربية حديثة، ليست وطنية وحسب بل قومية وإسلامية، بحيث إستطاع أن يبلور أفكاره في مجموعة من القواعد والنظريات، التي سيكون لها استمرار وتواصل، ويظهر ذلك في تنظيم دولته وعصرنتها في جميع ميادين الحياة، السياسية والاجتماعية والثقافية[4].

الأمير عبد القادر وتأسيسه للدولة الحديثة:

أننا إذا تحدثنا عن الأمير "عبد القادر" وتأسيسه للدولة وهي نتيجة إطلاعه على التراث العربي الإسلامي، وفي الكثير من المشاكل التي واجهته كما أنه اطلع على كثير من الأحداث التاريخية، التي

[1]- حرشوش كريمة، مرجع سابق، ص37.
[2]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص:171.
[3]- المرجع نفسه، ص ص: 171-172.
[4]- بقيق الزهرة، مرجع سابق، ص:17.

مرت بها الدولة الإسلامية، ولكنه استطاع تجاوزها في عصر النهضة، وهذا وعي شخصي سافر كغيره إلى الغرب، ولم يتأثر بواقع أوروبا، ومن ثم فإن ما قام به كان ناتج عن إدراك فكري عميق يعبر عن ملاحظاته ومعاناته وظروف مجتمعه.

إن الأفكار التي اعتمدها "الأمير عبد القادر" في بناء دولته وفي ممارسة السياسة، إذ استطاع أن يؤسس دولة تضاهي في مؤسساتها وأجهزتها وقوانينها.

وبذلك فإن الأمير عبد القادر حول تلك الأفكار المتعلقة بالدولة إلى أجهزة وأدوات للعمل الإجتماعي والسياسي والديني في المجتمع[1].

والملامح الأساسية لهذه الدولة، أنها إسلامية بقوانينها وتشريعاتها، من مهامها الدفاع عن الدين والوطن، لأنها أداة وليست غاية فاحرب التي شنها الأمير "عبد القادر" ل تكن دفاعا عن الدن وحده، بل كانت دفاعا عن الدين والوطن.

إن دولة كانت تلبس ثوبا قديما ولكنها تتلائم مع الحقائق الجديدة، ويتضح لنا أن منطلقاته كانت عربية جزائرية أصيلة في فكرها وفي ممارستها، وتظهر في نزعته الوطنية العربية فيما كان يفتخر به من انتسابه إلى النسب العربي والأمة العربية[2].

[1]- اسماعيل زروقي، مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص:91.

[2]- المرجع نفسه، ص:94.

المبحث الثاني: المساهمة في الحركة العلمية الثقافية.

مساهمة الأمير عبد القادر في التعليم:

أ-نشاط الأمير التعليمي في فرنسا:

داوم الأمير عبد القادر على تدريس العلم ومواصلة مجهوده التعليمي وإفادة الطلبة من عائلته وأصحابه حتى وهو في الأسر بقصر أمبواز، إذ قرأ عليهم، حسب إبنه محمد في كتاب تحفة الزائر "الصغرى" للسنوسي في علم الكلام، ورسالة محمد بن أبي زيد القيرواني في الفقه على مذهب الإمام مالك وغيرها من المصنفات المفيدة أفاد بهم كثير طلابه.

إن هذا النشاط التعليمي الواسع للأمير وهو في الأسر كان يعكس معنوياته العالية وقوة إرادته رغم الظروف الصعبة التي كان يجتازها وهو محروم من جريته كما أن ذلك يؤكد تصور وإيمان الأمير بأن المقاومة ليست بالضرورة بالسلاح والبارود بل هناك أشكال أخرى للصمود والمقاومة، ومجالات أخرى لمواجهة الاستعمار من بينها المجال الثقافي والتعليمي، ولهذا آثر عنه أنه بعد الانتهاء من تعليم أحد أبنائه قال: "هذه آخر بندقية بقيت لي".

رغم اشتغال الأمير بتقديم الدروس وتنشيط حلقات لهذا الغرض، لكن فإنه كان يشعر بالضجر والعزلة، قام بإختيار الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني لمؤانسته ومجالسته، فإنتقل هذا الأخير إلى أمبواز حيث استأنس بالسبح وبعلمه.

وبعد إطلاق سراحه من قبل نابليون الثالث سنة 1852، واصل الأمير نشاطه الثقافي والفكري حيث أنه أثناء زيارته لمدينة باريس إجتمع بالعلماء الفرنسيين وناظرهم وتناقش معهم في مختلف مسائل العلمية والفكرية وعبر عن روح تسامح عالية وإيمان قوي بإمكانية تعايش الديانات والعقائد المختلفة، ثم زار دار الطباعة الأميرية الفرنسية واطلع على مختلف مراحل عملها[1].

[1] – أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر الجزائري من خلال التعليم، م2، ع3، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، 2014، ص ص: 276-277.

ب- نشاطه التعليمي في بروسة:

بعد اطلاق سراحه وإنتقال إلى الاستانة التي دخلها في 1853 والتقى فيها بالسلطان عبد المجيد و"الصدر الأعظم" مصطفى رشيد ... ثم أدى زيارة مجاملة للسفير الفرنسي الماركيز "دولا فايي"، إذ حيثما ذهب الأمير كان الناس يزدحمون لمشاهدته، وتقديم التحية له سواء في الطرقات أو في منازل الوزراء والأعيان، كما تنقل كثير من المهاجرين الجزائريين من تونس ومصر والشام...، إلى بروسة لرؤيته.

وعند استقراره ببروسة واصل الأمير نشاطه التعليمي والتربوي، إذ كان يقضي أيامه هناك حسب تشرشل في تربية وتعليم أبنائه، وفي الدروس التي كان يقدمها في المسجد وفي دراسته ومطالعاته الشخصية والعبادة، وهذا ما يؤكده ابنه محمد، إضافة إلى ذلك كان الأمير التربوي مع أبنائه حتى في المنزل العائلي وذلك بانتقاد مجموعة من الكتب التي يقرأها عليهم.

ج- نشاطه التعليمي في دمشق :

بعد استئذانه السلطان العثماني، غادر الأمير عبد القادر بروسة سنة 1855 متوجها إلى سوريا حيث استقر بمدينة دمشق، حيث شرع في تقديم الدروس بالمسجد الأموي وبالمدرسة الأشرفية وذلك بعد تسوية النزاع الذي كان بين الشيخ يوسف بدر الدين المغربي، مسير المدرسة، وبين أحد الرعايا الأوروبيين والذي استولى على الدر التابعة للمدرسة وجزء من مسجدها بغرض تحويلها إلى خمارة، ولكن بعد تدخل الأمير عبد القادر، يطلب من السيخ يوسف بدر الدين وبفعل لغيرة الدين والاسلامية واستدعى الرعية الأوروبية إلى منزله واشترى منه الدار وأوقفهما على الشيخ يوسف وورثه من بعده سنة 1872[1].

ثم تكفل بترميم المسجد والمدرسة على نفقته، وبعد الانتهاء من أعمال الترميم والإصلاح التحق الأمير بالمدرسة وشرع في تقديم دروسه بها سنة 1274هـ "بصحيح البخاري" وذلك بحضور

[1]- أحمد، بن داود، مرجع سابق، ص:278.

الشيخ يوسف بدر الدين، وثم تحديد موعدها ما بين صلاتي الظهر والعصر، لفقد نالت هذه الدروس شهرة كبيرة في سوريا مما جعل كثيرا من العلماء والطلبة يحضرونها.

لم يبقى نشاط الأمير التعليمي منحصرا في المدرسة الأشرفية بل وسع مجاله ليشمل "المدرسة الأشرفية"، والتي درس بها كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام السيوطي، وكتاب "... في مناقب سيدي عبد العزيز" للسيد أحمد مبارك، ثم كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، و"صحيح مسلم".

لقد كان الإقبال على دروس الأمير المسجدية كبيرا لدرجة أنه بعد رجوعه من رحلته إلى الحجاز قام بفتح منزله لطلبة العلم وخصص لهم وقتا محددا يقدم فيه الدروس[1].

– خصص مساعدات لطلاب العلم وشيوخ الزوايا ورعاية المؤسسات الدينية والثقافية.

– جعل التعليم مجاني وفي متناول الجميع، والتكفل التم بالطلبة.

– اقامة مكتبة عامرة ووضعها في خدمة الطلبة والعلماء وجمع الكتب والمخطوطات لهذا بغرض من داخل وخارج البلاد وتزيد الزوايا والمساجد بها.

– تشجيع المتفوقين من الطلبة وتقديم منح خاصة لهم[2].

[1]– أحمد بن داود، مرجع سابق، ص:279.

[2]– المرجع نفسه، ص:275.

المبحث الثالث: موقفه من قضايا عصره

1- مواقف الأمير إتجاه السلطة التركية:

كان عداء الأمير عبد القادر للسلطة التركية عداء قوي وعدم الاعتراف بشرعية سلطتهم ومن الأسباب والعوامل التي جعلت الأمير يقف مثل هذه المواقف نذكر منها:

أ- الصراع على الحكم والفساد السياسي:

وهو الصراع والتنافس على السلطة والحكم بشتى الطرق، التي كان يسلكها الأتراك، تسلط إدارات الدولة وان معظم الحكام من خارج الجزائر، من أصول تركية مختلفة، ولا يسمحون للجزائريين بممارسة حرياتهم في جميع المجالات.

ب- عداء الحكام الأتراك للطرق الدينية:

وكان هذا في عهد الباي حسين الذي اتسمت سياسته بسوء معاملة مع شيوخ الزوايا والطرق الدينية، ومن رجال الزوايا اللذين كان يتخوف منهم هي أسرة الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر المنتسب إلى الطريقة القادرية، وسمحت له الفرصة بحجزه، وهذا ما أثبت مدى تعلق الناس بالأمير عبد القادر وإزداد عداء مع الأتراك[1].

ج- تحميل الأتراك مسؤولية احتلال الجزائر:

ان احتلال فرنسا للجزائر 1830م، جعل الأمير عبد القادر يحمل الأتراك مسؤولية الاحتلال، وهذا ما أكده في الرسالة التي بعثها إلى السلطان العثماني 10 ديسمبر 1841م قال فيها: إن الينشارية* اللذين كانوا بالجزائر،... عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم، العدو الكافر الغشوم فبدد شملهم، واجتث أصلهم وملك القرى والمداشر.

اعتبر فشل الداي حسين في التصدي للجيش الفرنسي ورضوخه لشروط الفرنسيين، في 04 جويلية 1830م أن الحكم التركي بالجزائر قد انتهى ولن يعود أبدا.

[1]- صالح فركوس، مرجع سابق، ص ص: 40-41.

*- **الينشارية:** الجيش الانكشاري، صالح فركوس، مرجع سابق، ص:42.

وتجلى في موقفه في معارضته هي عدم مد يد المساعدة للداي حسين، بحجة عدم القدرة على حماية الباي بمدينة معسكر، وتمكن من إقناع أبيه ووجهاء قومه بوجهة نظره[1].

2- موقف الأمير من بقايا الأتراك:

بإعتباره رجل ديني وتصوف ودولة، اختار أن يؤسس قواعد دولته على أكبر قاعدة وبعد توليه سعى إلى كسب ود الكراغلة، بقايا الأتراك بمدينة تلمسان، فرفضوا واتخذوا موقفا عدائيا منه، وأعطوا ولاءهم لسلطان المغرب الأقصى ولا يستطيع الأمير إخضاعهم.

فقد كان لهذا الموقف أثر سلبي على مخططات الأمير من أجل طرد الفرنسيين، وعرقولوا إمتداد نفوذ الأمير إلى الجهات الشرقية، الأمر الذي دفع بالأمير التصدي لهم والقضاء على قوتهم، فخرج لمباغتتهم سنة 1838م، واستطاع ضم جماعة كبيرة إليه، والبقية رفضوا مصالحته.

وبالفعل تمكن الأمير جعلهم تحت سلطته، وعفى عنهم، إلا أن قسما كبيرا منهم ظل ينتهز الفرص التي تسمع لهم بالتخلص من سلطته[2].

3- موقف الأمير اتجاه أحمد باي "قسنطينة":

هو آخر بايات قسنطينة 1784م -1850م، قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، إلى غاية استسلامه 1848م، إلا أنه بعد سقوط عاصمته، نصب نفسه "باشا" خليفة للداي حسين، واعتبر نفسه الممثل الوحيد للدولة العثمانية، ورفض أي تفاوض مع الأمير عبد القادر وعدم الاعتراف به.

والواضح أنه كان يريد إبقاء بايلكه تابعا للسلطة العثمانية في الإطار العسكري والسياسي يختلف عن نظام الداي حسين.

ومما يؤكد وفاءه وإخلاصه للباب العالي الرسالة التي بعث بها إلى السلطان محمود الثاني في 16 جانفي 1839م، يشكوه فيها عدم اتخاذ أية مبادرة لإنقاذ البلاد من الاحتلال، ومن المعروف أن موقف الأمير المعارض لإستمرارية الحكم التركي بالجزائر أكيد يكون نفس موقفه من الحاج أحمد

[1]- صالح فركوس، مرجع سابق، ص:42.

[2]- المرجع نفسه، ص:43.

باي، والعلاقة بينهم تحكمت فيها عوامل سياسية وتاريخية، ثقافية ومن بين العوامل السياسية: سياسة الأتراك في إدارة البلاد، من خلال عزل الأتراك الأوساط المحلية، وتغذي افتعال الفتن بين القبائل[1].

ونظرا لهذا الفارق الذي كان بين الأمير عبد القادر عرض عليه هذا الأخير الوحدة والإتحاد من أجل صد العدو المشترك، ولكن الباي كان يرفض ذلك.

حسب قول الجنرال: إنني متأكد تمام التأكد أن الباي أحمد قد وصلته رسائل عديدة من الأمير عبد القادر، يدعوه فيها إلى الوحدة ضدنا، إلا أن البي لم يكن مستعدا لتلك الوحدة لأنه كان يكره الأمير وغار منه.

إذن فموقف الأمير إتجاه الأتراك وبقاياهم واتجاه أحمد باي الذي ساندهم، كانت تنبع من قناعته الراسخة، نهاية حكم الدولة التركية ولم تعد واردة بعد فشل الداي في التصدي للغزو الفرنسي وقبوله لشروط الهزيمة، وقوف الدولة العثمانية موقف المتفرج[2].

4- موقف الأمير عبد القادر من الهجرة من خلال رسالته "حسام الدين لقطع شبه المرتدين":

لقد اعتبر الأمير عبد القادر الهجرة في فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر واجبة على كل قادر، ودليله في ذلك الآيات القرآنية، ومقاصد الشريعة التي جاءت بالضروريات الخمس مرتبة ترتيبا لا يجب الإخلال به، وعليه أن يقدم حفظ الدين على الضروريات الأخرى كالمال، فمن كانت له أموال وخاف ان هاجر سلبها المستعمر فلم يهاجر فهذا انسان آثم.

وأيضا لم يحسن الظن بالله ورخص الهجرة مخافة ألا يجد في البلاد الأخرى فلم يهاجر أيضا آثم، ففي نظر الأمير أنه على كل المسلمين الجزائريين أن يهاجروا حفاظا على دينهم، خوفا من الردة أو اضطهادهم من قبل المستعمر فيمنعهم من تأدية شعائرهم الدينية، أو خوفا من تنصيرهم كما كان مشاع في الحملة التنصيرية في ذلك الوقت، فهي في رأيه واجبة وفرض عين.

كان هذا مختصرا ما تضمنته رسالة الأمير حسام الدين لقطع شبه المرتدين.

[1]- صالح فركوس، مرجع سابق، ص:44.

[2]- المرجع نفسه، ص:45.

إن موقف الأمير من الهجرة، إنما كان عن قياس بين الهجرة من أرض الأندلس على الهجرة من أرض الجزائر، مراعيا بذلك مصلحة دينية وبلاده وقومه[1].

5- حادثة دمشق 1860م وموقف الأمير منها:

من أهم أسباب هذه الفتنة الطائفية يسمونها بحوادث الستين حسب ما يذكرها أحمد كربين:

- **الدسائس الفرنسية الإلكريكية***: من أجل استثمار ثروات الجبل وأراضيه، فكانت فرنسا تعتم بإرسال حملة عسكرية بحجة حماية النصارى، وتحريض الطوائف ضد بعضهم التحدث في الجبل فتنة تستدعي تدخل فرنسا، فتبسط نفوذها في بلاد لشام.

- **مشاركة العلماء البريطانيين**: اللذين رأو مصلحة حكومتهم تعتمد على مساندة الدروز، وقد النائب المستر مونسل Moster Moncel بأنه وضح له في السنوات الأخيرة أن انجلترا هي سبب ما جرى في سوريا[2].

- **عجز الأرستقراطية المارونية عن قمع ثورة الفلاحين**: "في كسروان" اشعال نار الفتنة لطائفية بين صفوف الفلاحين، وكذلك بعض التحريضات التي قام بها العملاء والموظفون العثمانيون للقضاء على امتيازات الجبل، التي كادت أن تصبح للأفرنج، وسمته ليندة شيلشر بأعمال شغب، وتقول بأنها ليست حرب طائفية بل هي انفجار اجتماعي واقتصادي.

تزايدت الأزمات في الدولة العثمانية و أصبحت فريسة للتدخل لأوروبي المباشر في سياستها[3].

إن مساهمة الأمير عبد القادر في انقاذ المسيحين تنبع من تنبهه وإدراكه للنوايا الحقيقية لفرنسا وانجلترا في محاولة منها لاحتلال بلاد الشام.

أثناء إقامته بدمشق حدثت اضطرابات في جبال لبنان بين النصارى والدروز.

---

[1]- حنيفي هلايلي، موقف الأمير عبد القادر من الهجرة من خلال رسالته "حسام الدين لقطع شبه المرتدين"، جامعة سيدي بلعباس، 2016م، ص ص: 4- 6.

*- **الإلكريكية**: هي مدرسة تعلم وتفقه، تربي الفتيان للإرتقاء إلى الكهنوت والإكليروس والرعية كالشمامسة والكهنة والأسافقة.

[2]- نفسه، ص ص: 45-46.

[3]- حرشوش كريمة، مرجع سابق، ص45.

رغم ما أجراه الأمير من مقابلات وتدخلات لدى الوالي التركي حتى لا يصل إلى دمشق ولكن هذا الوالي لم يحرك ساكنا، لأنه يجهل ما يحدث.

انطلقت شرارة هذه الفتنة بدمشق في 1860/07/10م وحرك ساكنها طفل صغير[1].

ففي الوقت الذي لم يقم فيه أحمد باشا ولا شاكر باشا رئيس أركان الحرب، ولا أحد من أعضاء المجلس الكبير، ولا من العلماء ولا أي فرد يمد بصلة قريبة أو بعيدة إلى الحكومة، بالنزول إلى الشارع حمل عبد القادر مع رجاله على إنقاذ عدد ممكن من البؤساء رغم تفاجئه بها[2].

وعلم الأمير مدى تأثير الإنجليز على الطائفة الدرزية ومدى تأثير الفرنسيين على الطائفة المارونية، وكل واحد من الجهتين يسعى لتحقيق أغراضه الإستعمارية المكشوفة بإيقاع الفتنة بين الطائفتين، حتى تسيل الدماء الغزيرة، وتقع المجزرة وبذلك تجد الدول الإستعمارية مجالا للتدخل العسكري غير أنه لم يبقى صامدا أمام هذه الأوضاع في البلاد، لذلك سعى جاهدا من جل تطويق هذه لفتنة، ولتوفيق بين الطوائف ومحو ما بينها من أحقاد، ترجع في أصولها إلى الحروب الصليبية القديمة[3].

كان للأمير في هذه الحادثة المؤلمة مواقف شريفة تدعو إلى الإعجاب إذ استطاع أن ينقذ أكثر من 15000 من النصارى، بعث بهم إلى منازلهم.

بعد 15 يوما استطاع أن يحول 10 ألاف جندي فرنسي إلى فرنسا، وفرق جميع المراكب التي كانت تنتظرهم، وتحدثت عنه الصحف العالمية[4].

وقد تم الإشراف على الوسائل اللازمة لإنقاذ المسيحيين و الاتفاق مع الأمير عبد القادر على ذلك، ورغم أنه لم يتمكن أن يوقف الحركة من أولها، إلا أنه عمل مع رجاله الجزائريين على إنقاذ أكبر

[1]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص:71.

[2]- صم منور، الأمير عبد القادر وأحداث الستين 1860 من خلال الوثائق الفرنسية، رسالة دكتوراه دولة وهران، 1971، ص:232.

[3]- أحمد توفيق المدني، الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سوريا المحزنة والدولة العثمانية، 1860-1983م، الجزائر، 1983، ص7.

[4]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص:71.

عدد ممكن من المسيحيين و أصبح بذلك إحدى عشر ألف من المسيحيين، يدينون له بحياتهم و قد أنزل بعضهم في داره، و البعض الآخر في الحي الذي يعيش فيه الله.

ورغم ذلك استمرت المجزرة حتى 16 جويلية، عند وصول محمد باشا والي دمشق الجديد ومعه ثلاث آلاف رجل من الجنود النظاميين فأحاطوا بالمدينة، و أمر محمد باشا بنزع السلاح من الجميع، وفي اليوم الموالي أي في 7 جويلية أوعز إلى المسيحيين أنهم في أمان و في وسعهم أن يخرجوا من القلعة امنين، بيد انه، لا أحد منهم تجرا على القيام بهذه الخطوة دون أن يكون مفخورا بالجزائريين حتى 19 منها. وبعد ذلك هدأت الأحوال في دمشق، وقد اتهمت السلطات العثمانية بان كانت لهم سوء نية تجاه المسيحيين و الأوروبيين، كما اتهموا بالمشاركة في أعمال عنف ضد المسيحيين.

وهكذا فقد عمل الأمير عبد القادر وأتباعه من الجزائريين، على تامين خطوط المواصلات بين دمشق وبيروت، وتأمين قوافل اللاجئين، علاوة على مساهمتهم في المحافظة على حالة الأمن في دمشق، بعد قيامهم بإنقاذ أرواح المسيحيين والأجانب، وأهم ما قدمه الأمير عبد القادر بإنقاذه لهذه الأرواح هو إنقاذ الخلافة العثمانية كما سبقت الإشارة إلى ذلك من تقسيم ممتلكاتها، والتوسع على حسابها في بلاد الشام، وإن تدخل الأمير عبد القادر نابع عن علمه و ادراكه بان هذه الفتنة بدمشق ليست سوى مؤامرة محاكة من طرف الدول الأوروبية لاسيما فرنسا وبريطانيا لإحداث قلاقل مع بعض العلماء لإيجاد ذريعة للتدخل في شؤون الخلافة العثمانية كما حدث مع ذريعة المروحة في الجزائر.

وقد تزامن ذلك مع الظروف السيئة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية من الناحية المادية والمعنوية، خصوصا منها فراغ الخزينة، ورغبتها في الحصول على قرض جديد في سوق باريس المالي، وهذا ما حاولت فرنسا استخدامه كذريعة للضغط على الدولة العثمانية و الحصول على مكاسب في بلاد الشام[1].

[1]- صم منور، المرجع السابق، ص ص: 233- 258.

خلاصة:

الأمير عبد القادر ساهم بإنتاجه الفكري والثقافي في بلورة ووعي التاريخ الجزائريين إذ أنه واكب الحراك النهوضي الذي قام في المشرق العربي، وساعده في وضع قواعد فكرية للوطنية الجزائرية، فطور عقل الشعب ونبهه إلى حقه، ونهض الأدباء والعلماء إلى العمل بدل أن يبقوا مكتفي الأيدي فمن واجب الأديب الالتزام بقضايا قومه وعصره والمشاركة في نضالهم، وخاصة الأمير عبد القادر من مبدئه النضال بالسلاح والقلم.

خـــــاتـمــة

خاتمة:

إذا كانت خاتمة أي بحث هي محاولة إبراز نتائجه، فإن خاتمة هذا الدراسة لن تخرج عن هذه القاعدة، وكخلاصة لهذه الدراسة يعد الأمير عبد القادر نن الرجال النادرين اللذين جمعوا بين تأسيس الدولة والمقاومة والفكر والتأليف بحيث لا يمكن تجاهل دوره في المغرب العربي أو في العالم الإسلامي، ولا إزالة فكره وسياسته من الأذهان رغم محاولات عديدة لمحو هذه الذاكرة، أو محاولة تشويه سمعته. ولهذا يعد الأمير عبد القادر الجزائري نموذج للرجل المثالي الذي لعب عدة أدوار في نفس الوقت اجتمعت فيه كل الوظائف الإنسانية والدينية لصنع شخصية البطل في مختلف القضايا والمجالات، ويعتبر القدوة للجميع في معاملاته عبر أجيال متزامنة، ساعده على ذلك نسبه الشريف والطبيعة والبيئة التي احتضنته والزاوية القادرية والتصوفية التي ملأت فراغه الروحي والثقافي الذي كان يعيشه عصره.

كانت تجربة الأمير عبد القادر إصلاحية من الدرجة الأولى من خلال تمسكه بالعدل والمساواة والقضاء و التسامح وتحليه بالأخلاق الإسلامية وكإجابة للإشكاليات أو النتائج التي تحصلنا عليها من هذه الدراسة نذكر منها:

- أن الأمير عبد القادر نشأ في عائلة ذات علم وإيمان وتقوى متصفة بالأخلاق الدينية ومتسامحة ومضيافة، وانتمائه إلى الزاوية القادرية، وهو مولع بالاستطلاع والاكتشاف، وكان ابنا لوالد محارب ومعروف بين الناس، هذا ما جعله ذا عبقرية وخبرة حربية وفكرية.
- تأثر الأمير خلال رحلاته المختلفة من خلال الأماكن التي زارها بالاحتكاك مع رجال وحكام الدول الأخرى والإطلاع على خبرتهم زاده علما وتفوقا.
- تعتبر كل من تجربته السياسية والعسكرية والفكرية من العوامل التي ساعدته على إثبات انتمائه الشريف ومواجهته للاستعمار.
- تعتبر تجربته الكتابية من خلال مؤلفاته مصدرا يعتمد على الدارسين والمؤرخين.
- الأمير عبد القادر كتب في جميع المجالات والقضايا دون استثناء.

- وبفضل شجاعته وقيمه استطاع كسب حب الناس و ثقتهم.
- كما لاحظنا أن منهج كتابته في الشعر والنثر أسلوب اعتمده مثله مثل باقي مؤلفين عصره.
- تعتبر لغته لغة أصيلة و عربيته سهلة الفهم ويمكن لأي باحث دراستها.
- كما عمل الأمير على إحياء التصوف من خلال تجربته الروحية والذوقية وكان جسرا للكثير من الباحثين الغربيين كما ساهم بآرائه المتفتحة في استشراق دور المسلم وتفطينه إلى ما يحدث حوله .
- استمد الأمير علمه ومعرفته من بعض الشيوخ الذين كان يعاصرهم مثل الشيخ محمد الفاسي .
- تجربته العلمية حافلة بمجموعة من المصادر أو الآثار العلمية أو النثرية التي خلفها ويعتمد عليها الدارسين إلى يومنا هذا ونذكر منها : الديوان الشعري، المقراض الحاد الذي كتبه في المنفى، أرسله لمقاومة الفرنسيين خصوصا المسيحيين عموما 1852م، اعتمد فيها على أسس ومبادئ القرآن الكريم وهدفه الدفاع عن الإسلام من خلال تشويه الفرنسيين له .
- الأمير عبد القادر استطاع أن يوفق بين موقفين المجاهد و الشاعر .
- استطاع الأمير أن يجسد آمال ... في شعره ونثره فسخره لقضية بلاده عن طريق الفنون الشعرية المعروفة في عهده كالفخر، والمدح، والغزل، والوصف ... الخ
- كما ساهم الأمير قولا وفعلا في يقظة المسلمين من خلال تنظيماته الثقافية واهتمامه بالتعليم والكتابة من خلال إنشاء المدارس وتوفير معلمين للنهوض بالمجتمع .
- كما كانت له مواقف من بعض القضايا التي كانت في عصره وتدخل لاإصلاح بعضها حسب قدراته واستطاعته وكان موقفه معارضا لاستمرارية الحكم التركي بالجزائر النابعة من قناعته وتربيته.
- و في آخر بحثنا هذا لا نقول أننا أحطنا عبر الموضوع لأنه موضوع واسع ...، بل حاولنا ما باستطاعتنا أن نحيط بالبعض منه.
- لترك في آخر المطاف المجال إلى الأبحاث المستقبلية لتبحث في بقية جوانب الموضوع المختلفة التي لم نستطع التوصل إلى دراستها.

الملاحق

الملحق قم (01): صورة الأمير عبد القادر

بشير بلاح، الجزائر بوابة التاريخ تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 146.

الملحق رقم (02):

قائمة مؤلفات الأمير عبد القادر:

1- رسالة ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.

2- وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب.

3- بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب.

4- المقراض الحاد لقطع لسان الضاغن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد.

5- المواقف الروحية والفيوضات السبوحية.

6- الصافنات الجياد.

7- الرسائل المتنوعة.

8- مذكرات الأمير عبد القادر.

9- ديوان الأمير عبد القادر.

10- نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر.

11- المخطوط الكبير.

صورة واجهة كتاب من مؤلفات الأمير عبد القادر.

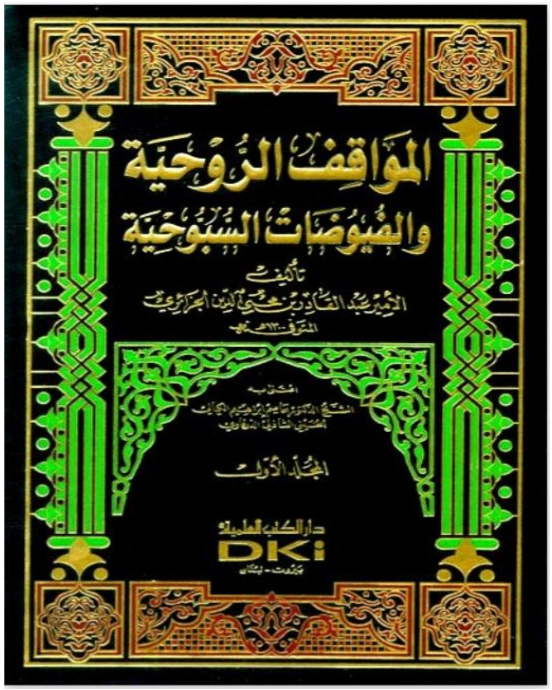

الملحق رقم (03): صورة الأمير عبد القادر في برج لاملاق بفرنسا

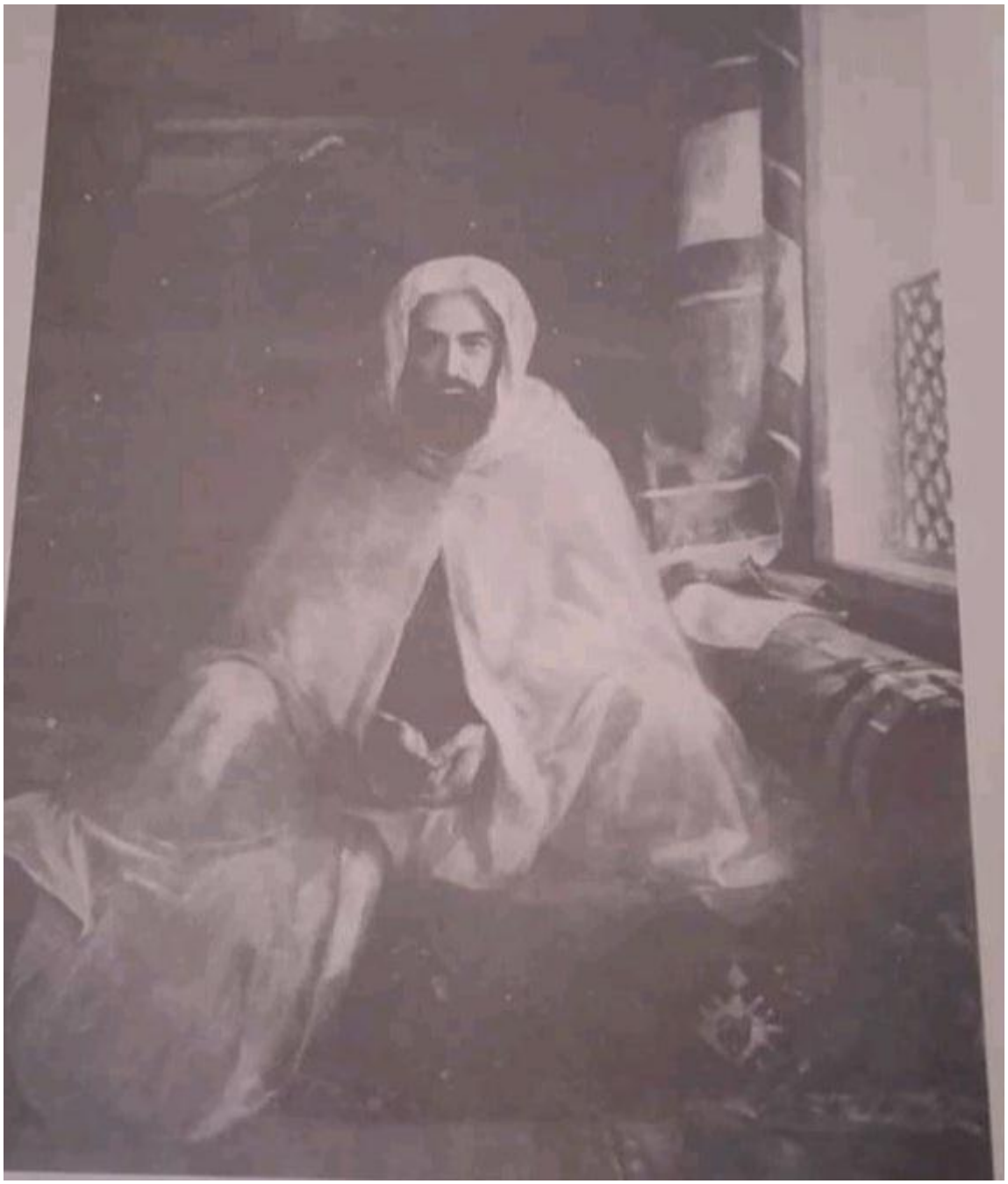

محفوظ قداش، الأمير عبد القادر الجزائري،وزارة الاتصال والثقافة، 2002م، ص: 99

الملحق رقم (04): رسالة بخط الأمير إلى العالم دي سيفري 1852.

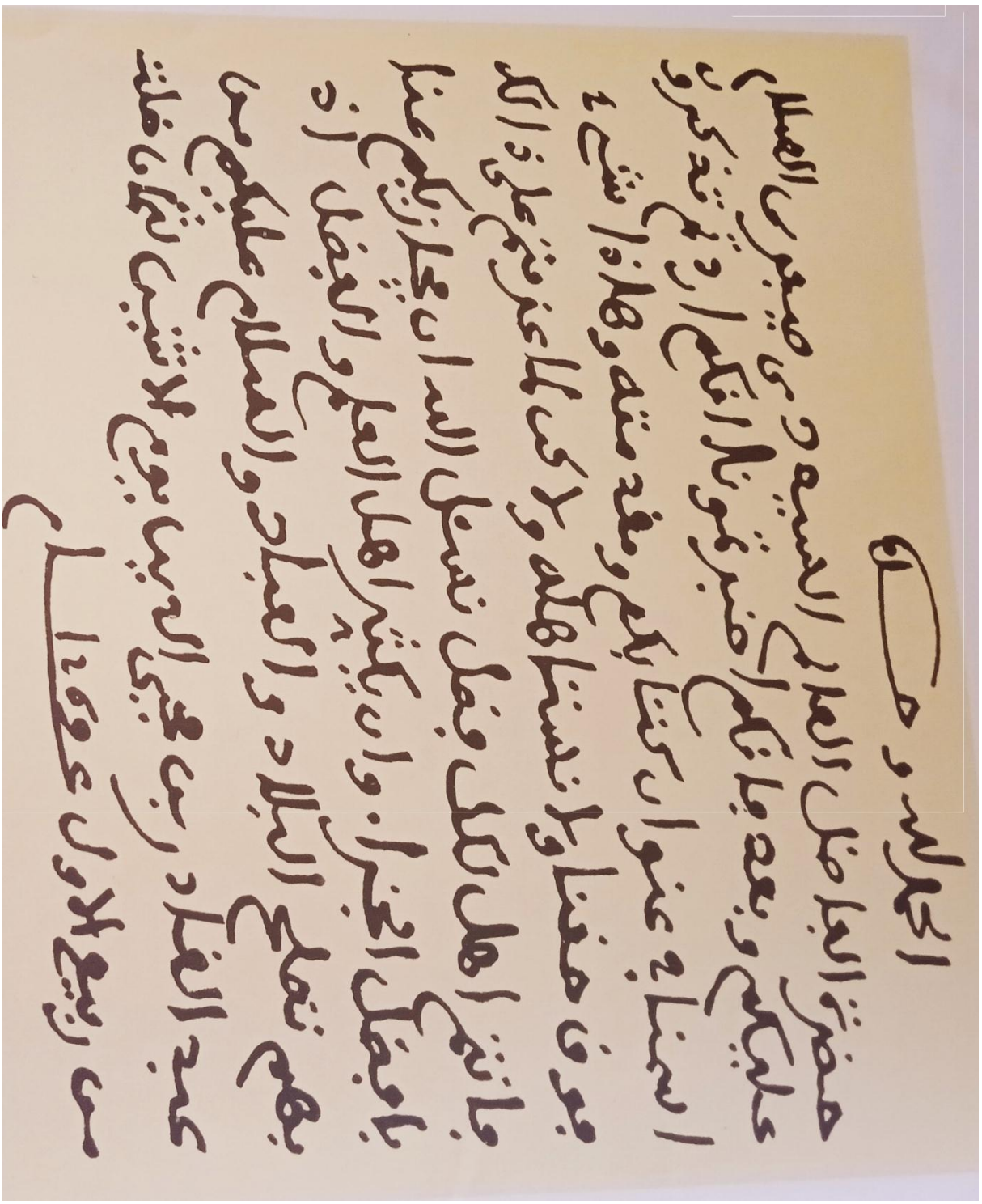

محفوظ قداش، الأمير عبد القادر الجزائري،وزارة الاتصال والثقافة، 2002م، ص: 91

الملحق رقم (05): قصيدة مختارة من ديوان الأمير "بعنوان: "بنت العم"

قصيدة بن العم:

أقاسي الحب، من قاسي الفؤاد وأرعاه، ولا يراعى ودادي
أريد حياتها، وتريد قتلي بمهجر، أو بصد، أو بصاد
وأبكيها، فتضحك ملئ فيها. وأسهر في طيب الرقاد
وتعمى مقلتي، إما تناءت وعيناها تعمى عن مرادي
وتهجرني، بلا ذنب تراه. فظلمي قد رأت، دون العباد
وأشكوها البعاد، وليس تصغي إلى الشكوى، وتمكث في إزدياد
وأبذل مهجتي في لثم فيها. فتمنعني وأرجع منها صاد*
وأغتفر العظيم لها، وتحصي عليا الذنب، في وقت العداد
وأخضع ذلة، فتزيد ... وفي هجري أراها في اشتداد
فما تنفك عني ذات عز وما أنفك في ذلي أنادي.
فما في الذل للمحبوب عار سبيل الحب ذل للمراد
رضا المحبوب ليس له عديل بغير الذل ليس بمستفاد
ألا من منصفي من ظبي قفز* لقد أضحت مراتعه فؤادي؟
ومن عجب، تهاب الأسد بطشي ويمنحني غزال من مرادي
وماذا؟؟ غير أنه له جمالا تملك مهجتي ملك السواد
وسلطان الجمال، له اعتزاز. على ذي الخيل* والرجل الجواد
وهذا الفعل، مغتفر وزين إذا يوما أبيت على معاد
فإن رضيت عليا، أرت محيا. بشوشا بالملاحة، ظل باد*
خليلي إن أتيت إلي يوما بشيرا بالوصال وبالوداد.
فنفسي بالبشارة إن ترمها فخذها بالطريق وبالتلاد
إذا ما الناس ترغب في كنوز. فبنت العم مكتنزي وزادي

---

*- الديوان، ص41.

*- ظبي قفز: غزال البرية، ويكن به هنا عن المرأة.

*- ذو الخيل: الفارس الشجاع البطل.

*- ظل باد: ظاهر، ديوان، مصدر سابق، ص43.

قائمة البيبلوغرافيا

قائمة البيبلوغرافيا:

المصادر:

1.اتيين برونو، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، 1997م، دار عطية للنشر، لبنان، بيروت.

2.باشا محمد ابن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مأثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج01، سيرته السيفية، الإسكندرية، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، 1903.

3.بميراوي حميدة، جحوانب من السياسة وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، قسنطينة، دار البعث.

4.بن تهامي مصطفى، سيرة الأمير عبد لقادر وجهاده، 2009، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

5.بن عثمان خوجة حمدان ، المرأة، تر، تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

6.تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس.

7.الجزائري الأمير عبد القادر ، الديوان، تح: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.

8.الجزائري الأمير عبد القادر، المقراض الحاد، الجزائر، دار الطاسيلين 1989م.

9.الجزائري الأمير عبد القادر، ديوان الأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، ط3، دار اليقظة العربية.

10. الجزائري الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تح: ممدوح حقي، القاهرة، مكتبة الخانجي.

11. الجزائري الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تح: محمد الصغير بناني.

12. الجزائري الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، تح: محمد الصالح، مؤسسة الأمير عبد القادر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2001.

13. الجزائري عبد القادر بن محي الدين ، بغية الطاللب على ترتيب التجلي بكليات المراتب، منشورات محمد علي بيضونن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنانن 2004م-1425هـ.

14. الجزائري عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004.

15. عربي محي الدين، الفتوحات المكية، م1، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

16. عربي محي الدين، فصوص الحكم، شر: الشيخ عبد الرزاق القاشاني، دار أفاق للنشر والتوزيع.

17. الغزالي أبي حامد، إحياء علوم الدين، م1، دار المنهاج، ط1، 1432هـ،2011م.

18. القشيري، الرسالة القشيرية

19. محمد ابن الأمير عبد القادر، عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ختم الأمير عبد القادر.

20. مذكرات أحمد باء وحمدان خوجة وبوضربة، تح: محمد العربي الزبيري، الجزائر، الشركة اوطنية للنشر والتوزيع.

الكتب:

1.أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية، الجزائر، 1976م.

2.الأشعري أبي حسن ، الإبانة عن أصول الديانة، تح: صالح العصيمي التميمي، (ط1)، مدار السلم للنشر، الرياض، 1432هـ، 2011م.

3.بن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، 2000.

4.بوطالب عبد القادر، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، منشورات دحلب، الجزائر.

5.بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، تونس، 1983م.

6.بـوعزيز يحـي، موضـوعات في تـاريخ الجزائـر والعـرب، ج1، دار الهـدى، الجزائـر، 2009.

نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم والمجاهد، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1994.

7.الجزار أحمد كمال، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر، والسادة الأولياء الأكابر، 1997م 1417هـ، (د.م)

8.خياطي مصطفى، الأمير عبد القادر سجن فرنسا، منشوراتANEP (دط)

9.درويش أحمد، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة عبد العزيز للإبداع الشعري، 2000.

10. الزبيري محمد العربي، مقاومة الحاج أحمد باي وإستمرارية الدولة، الجزائر، دار الحكمة، 2014.

11. السيد فؤاد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

12. الشريف محمد ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال 1830، 1962م، دار القصبة للنشر، الجزائر.

13. الطلابي علي محمد محمد ، سيرة الأمير عبد القادر، قائد رباني ومجاهدي إسلامية، (دط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.أسيا تميم، الشخصيات الجزائرية، 100 شخصية، الجزائر، دار المسك للنشر والتوزيع.

14. عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر الشاعر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط3، 2009.

15. عشراتي، سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، دار الغرب للنشر والتوزيع، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط3

16. عمورة عمار، الجزائر بوابة تاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، 2009.

17. فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830، 1925، مديرية النشر جامعة قالمة، 2010.

18. قاسي فريدة، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، 1847-1932م، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1433هـ-2012م.

19. لونيسي رابح، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830، 1989، ج2، دار المعرفة، (دط)، الجزائر.

20. مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، ج1، دار هومة، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

المجلات:

1. بلغراس عبد الوهاب، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الإجتماعية، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت.

2. بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرن 19، مجلة البصائر الجديدة، الجزائر، 2013.

3. حرشوش كريمة، الأمير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية 1856م،1860م، مجلة عصور المجلد 19، ع01، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان، 2020.

4. حمحامي المختار، حوار الذات ومعالم الاجتهاد عند الأمير عبد القادر من خلال رسالته حسام الدين لقطع شبه المرتدين، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (دت).

5. الزركلي خير الدين، الأعلام.

6. سعيدوني ناصر الدين، مذكرة طول اقليم قسنطينةن مجلة الأصالة، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن وزارة لشؤون الدينية، العدد 70-71، 1979.

7. عبد الرحيم ابن الحسيني بن عبد الرحمان، تراجم عبر لتاريخ، دمشق، 2021.

8. فيلالي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في منطقتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850، دار الهدى، الجزائر، 2012

9. فيلالي عبد العزيز، مقاومة أحمد باي القسنطينيين ضد لإحتلال الفرنسي، مجلة بوليكرومي، العدد 1، 2012-2013.

10. مجازر الإحتلال والإستدمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837، مجلة تاريخية، جامعة محمد بوضياف، العدد4، سبتمبر2017.

11. مكي الحسيني الجزائري، جهود الأمير عبد القادر الجزائري، في نشر علوم الحديث بعثتها مجددا، دمشق، 2009.

الرسائل الجامعية:

1.بقيق الزهرة، الأمير عبد القادر في الأسر 1848-1852، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والعاصر، جامعة وهران، 2009-2010.

2.بوضارساية بوعزة، الحاج أحمد باي لشرق الجزائري رجل دولة مقاوم، رسالة ماجستير، اشراف اسماعيل سامعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

3.بولحبال رياض، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول، مذكرة ماجستير،، اشراف اسماعيل سامعي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قسنطينة، 2009.

4.مرباح وسيلة، شعر الأمير عبد القادر الجزائري، لالرؤية والأداة، بحث مقدم لنيل شهادة دكتورا، العلوم في الأدب الحديث، إشراف حسن كاتب، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة1، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الأداب واللغات، 2015-2016.

5.مياسي ابراهيم، لمحات جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، (د،م)، 2007، أطروحة دكتوراه.

6.هواري مختار، سياسة الإدارة الإستعمارية تجاه بعض العائلات المنتقدة في الجنوب القسنطيني 1807-1837، مذكرة ماجستير، اشراف مصطفى حداد، قسم العلوم التاريخ كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة لحاج لخضر، باتنة.

فهرس الموضوعات

فــهــرس الموضوعات:

إهداء
شكر
قائمة المختصرات
مقدمة .....أ
مدخل 08

الفصل الأول: حياة الأمير عبد القادر الجزائري.

المبحث الأول: الأمير عبد القادر بين سنوات 1808م- 1847م 22
1- اسمه ونسبه 22
2- مؤلفاته 25
3- حروبه ضد الاستعمار 29
4- الاستسلام 34
- نظرية المقاومة 36
المبحث الثاني الأمير عبد القادر بين سنوات 1847م- 1883م.....38
1- مرحلة النفي بفرنسا 38
أ- سجين بفرنسا 38
ب- الأمير عبد القادر في سجن بو 40
2- الاستقرار بالشام 42
3- رحلاته.....44
4- وفاته 49

الفصل الثاني: منهج الكتابة التاريخية عند الأمير عبد القادر.

المبحث الأول: طبيعة الكتابة التاريخية عند الأمير عبد القادر 54
1- أسلوبه.....54
2- لغته 57

المبحث الثاني: موضوعات الأمير وقضايا كتاباته 63
1- القضايا الأدبية.....63
2- القضايا السياسية 67
3- المجال الأدبي 69
المبحث الثالث: مصادر الأمير عبد القادر في كتاباته 73
1- بعض الشيوخ "الشخصيات" 73
2- بعض المؤلفات "الكتب".....74

الفصل الثالث: المساهمة التاريخية والعلمية للأمير عبد القادر

المبحث الأول: المساهمة في الكتابة التاريخية 79
1- مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية 79
المبحث الثاني: المساهمة في الحركة العلمية والثقافية 81
1- مساهمة الأمير عبد القادر في التعليم.....81
أ- في فرنسا 81
ب- بروسة، دمشق 82
المبحث الثالث: موقفه من قضايا عصره.....84
1- موقفه من السلطة التركية وبعض بقاياها.....84
2- موقفه من أحمد باي.....85
3- موقفه من الهجرة من خلال رسالة حسام الدين لقطع شبه المرتدين.....86
4- موقفه من الفتنة بدمشق 1860م 87
خاتمة 92
ملاحق
البيبليوغرافيا
ملخص

ملخص:

يعد الأمير عبد القادر الجزائري من أبرز الشخصيات البارزة في تاريخ المقاومة الجزائرية، فحياته الثقافية والمعرفية ومواقفه الفكرية والأدبية جعلت منه إنسانا متحررا ومتجاوبا مع عصره، حيث كان دوره في التصدي للاستعمار الأوروبي من أجل الدفاع عن البلاد والمحافظة على مقومات الدولة الإسلامية، إذ يعتبر من أهم الشخصيات الوطنية التي صنعت أمجاد الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وذلك لما حققه من إنجازات عظيمة خلال انتصاراته العديدة، كما نجد أن الأمير قد تفوق في مجالات عدة أهمها حفظه للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، نجد أيضا أنه جاهد بقلمه مثلما جاهد بسيفه، حيث خلق العديد من المؤلفات نذكر منها: (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل والمقراض الحاد) وغيرها من الكتب، بالإضافة إلى كونه شاعرا متصوفا وباحثا في الفكر والعديد من القضايا المعرفية.

وبهذا يعد الأمير عبد القادر الجزائري نموذجا للرجل المثالي الذي لعب عدة أدوار في نفس الوقت اجتمعت فيه الوظائف الإنسانية والدينية لصنع شخصية البطل في مختلف القضايا والمجالات.

الكلمات المفتاحية: الانتماء التاريخي، الأمير عبد القادر.

بالانجليزية:

Emir Abdelkader Al-Jazaery is considered one of the most prominent figures in the history of the Algerian resistance. His cultural and knowledge life and his intellectual and literary stances made him a liberal and responsive person with his time, as his role was in confronting European colonialism. In order to defend the country and preserve the elements of the Islamic state, as he is considered one of the most important national figures who made the glories of Algeria against French colonialism, due to the great achievements he achieved during his many victories, and we find that the Emir has excelled in several areas, the most important of which are His memorization of the Noble Qur'an and the honorable prophetic hadiths, we also find that he struggled with his pen just as he struggled with his sword, where he created many books, among which we mention: (The Memory of the Intelligent, the Heedless Warning and the Sharp Lipper) and other books, in addition to being a mystic poet and researcher in thought and many cognitive issues.

Thus, Prince Abdul Qader Al-Jazaery is considered a model of the ideal man who played several roles at the same time in which the human and religious functions came together to make the character of the hero in various issues and fields.

Keywords: historical affiliation, Prince Abdul Qadir.